اجاثا كريستي



اليَاقُوتةُ الحَمْرَاءُ

أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

اليَاقُوتَةُ الحَمْرَاءُ

The Mystery of the Blue Train

اسْتقلَّ المخْبرُ «بوارو» القِطَارَ الأزرقَ قَاصِدًا «الريفييرا»، وعلَى الرَّغم من أنَّ هذا القِطَار مَعْروفٌ بِرُقيِّه وهُدوءِهِ وخُلوِّهِ من الأفَّاقين، ففيه تَلْقَى السَّيدةُ «روث كيترنج» مصْرَعَها، وهي سَيدةٌ أمْريكيةٌ ثَريةٌ، كانتْ في طَريقها لاسْتِعَادة حُبِّهَا القَدِيم بَعْدَ اقْتِرَاب خَلاصِهَا من زيجَةٍ فَاشِلةٍ. وقد افتضحَتْ عِلاقَتُهَا الغَرامية السِّرية في اليوْم التَّالي لمقْتَلهَا، ولم يَكُنْ من خَيْطٍ أمَامَ «بوارو» سِوَى تلكَ الشَّائعة عن ذلك الغَريب الذي قَابَل القَتيلةَ في القِطَارِ ودُهِشَتْ لرؤيتِه، لكن رويدًا رويدًا بَدأتْ تَتَكشَّفُ الحَيَاةُ السِّريةُ للسَّيدةِ «كيترنج».

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 9953382573-3
9 789953 382579

الياقوتة الحمراء

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعربّة

الياقوتة الحمراء

(90)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي للصحافة – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

The Mystery of the blue train

(1928)

الغلاف بريشة الفنان

غنطوس

- 1 -

كاد الليل أن ينتصف حين كان الرجل يعبر ميدان الـ "**كونكورد**" في "**باريس**".

كان رجلا ضئيل الجسم، أما وجهه فكان شبيها بالفأر ينم عن الخبث والدهاء. وانتهت به المسيرة إلى نهر "**السين**"، فعبره بخطوات متمهلة، وتوقف برهة أمام بيت قديم خرب، ثم ما لبث أن ارتقى الدرج صاعدا إلى الطابق الرابع. وقبل أن يطرق الباب إذا هو يفتح، فقد كانت المرأة التي فتحته ترقب قدومه. وابتدرها:

– أكل شيء على ما يرام يا "**أولجا ديميروف**"؟ وأجابته:

– على ما يرام يا "**بوريس إيفانوفتش**". ومشى إلى النافذة فتطلع منها، ثم ارتد عنها مجفلا.

– ثمة رجلان على الرصيف المقابل فهل يتبعاني ...؟

– لا يزعجك أمرهما فقد كانا هنا قبل قدومك. وتريث برهة مفكرا ثم قال:

– هل يمكن أن يتغلب الرجلان على الأمريكي؟ فقالت:

– إذا كان الأمريكي من الطراز الذي وصف لي، فأغلب الظن أنهما سيعجزان عن التغلب عليه. ثم أردفت:

– وبهذه المناسبة.. لقد لمحت الليلة – مرتين – رجلا أشيب الشعر يجتاز هذا الإفريز، وعندما مر بالرجلين أسقط قفازه، فسارع أحدهما بإعادته إليه.. وتلك خدعة معروفة تبيح لهما أن يتبادلا بعض الكلمات.

– أتريدين أن تقولي إن هذين الرجلين يعملان في خدمة الكهل أشيب الشعر..؟ فقالت:

– شيء من هذا القبيل. وظهرت سمات القلق في وجه الروسي وقال:

– أموقنة أنت بأن اللفافة في أمان..؟

فلم تجب المرأة على ملاحظته، وإنما اتجهت إلى المدفأة المطفأة النيران، وأزاحت

كوما من الفحم ، ومن تحته أخرجت لفافة مطوية في أوراق صحيفة قديمة حال لونها فقال الرجل بارتياح :

– فكرة رائعة .. مخبأ أمين لا يخطر بالبال . وقالت :

– لقد فتش مسكني مرتين .

– ألم أقل لك إن الأمر ذاع وشاع .. ؟

وفضّ الروسي " وجه الفأر " اللفافة ، فانكشفت عن ورقة رمادية فحص محتوياتها ، ثم لفها مرة أخرى .

وفي هذه اللحظة رنَّ جرس الباب رنينا حادا متلاحقا فقامت " **أولجا** " وهي تتطلع إلى ساعتها . ومضت إلى الباب مسرعة وعادت وفي صحبتها أمريكي ضخم الجسم عريض المنكبين حاد النظرات . وقال القادم الجديد يخاطب الروسي :

– السيد " **كراسنين** " ؟ فانحنى الروسي أمام الزائر باحترام وقال :

– يجب أن أعتذر عن اختياري هذا الحي موبوء السمعة، فإني حريص على ألاّ يعرف أحد أن لي صلة بهذا الموضوع . فقال الأمريكي :

– هذا أمر مفهوم .

– إنك وعدتني بألا تكشف سر هذه الصفقة . فأومأ الأمريكي إيجابا وقال :

– هذا ما اتفقنا عليه .

ودفع " **كراسنين** " باللفافة إلى الأمريكي ، ففضها وتمهل ، وأخذ يفحص البضاعة في إمعان ، ووجهه ناطق بأمارات الارتياح ، ثم تناول حافظته وناول الروسي رزمة من أوراق البنكنوت ، ثم قال :

– شكرا لك . ودس الأمريكي اللفافة في جيبه ، وحيّا أصحاب الدار ، ثم استدار منصرفا . وقال الروسي :

– ترى هل يصل إلى فندقه سالما .. ؟

وأسرعت المرأة إلى النافذة والرجل في أعقابها ، ورأيا الأمريكي يستدير إلى شارع جانبي، وفي اللحظة نفسها رأيا الرجلين اللذين كانا يتسكعان على الإفريز يبرزان

من الظلام ، وينطلقان في أثر الأمريكي . وقالت " **أولجا** " :

– أتراه سينجو منهما .. ؟ ولم يرد عليها الروسي، وإنما ناولها بضع أوراق من البنكنوت وهو يقول :

– إليك أجرك . ودست المرأة الأوراق في جيبها ، ثم هتفت :

– آه .. ها هو ذا الرجل الكهل الأشيب مرة أخرى . واقترب " **كراسنين** " من النافذة ، ورأى الرجل .

كان أنيق الثياب ، رشيق الجسم ، فوق رأسه قبعة عالية وعليه معطف أسود اللون. كان يسير على مهل ، سالكا الطريق نفسه الذي اتخذه من قبل الأمريكي والرجلان اللذان كانا يتعقبانه .

- 2 -

تابع ذو الشعر الأشيب طريقه بنفس الخطو المتمهل الرشيق ، وهو يترنم بلحن خفيف الإيقاع .

وعلى حين بغتة تسمر في مكانه .. لقد تناهى إلى أذنيه صوت شيء ، قد يكون دوي انفجار عجلة إحدى السيارات ، أو دوي طلق ناري .

وتلاعبت على شفتيه ابتسامة خفيفة ، ثم ما لبث أن تابع سيره .

وعند ناصية الطريق واجهه مشهد كان يترقبه جمع من الناس ، يتوسطهم شرطي يدون شيئا في مذكرته ، واقترب الكهل الأشيب من أحدهم ، واستفسر عما يجري وأجابه الرجل :

– اثنان من المتشردين هاجما أمريكيا . فسأل الكهل :

– وهل أصيب الأمريكي ؟ ضحك الرجل وأجاب :

– كلا ، لقد أطلق الأمريكي مسدسه قبل أن ينقضا عليه ففر المتشردان هاربين .

وتابع ذو الشعر الأشيب طريقه ، وعبر نهر " **السين** " . وتوقف أمام بيت في حي

الأثرياء إلا أنه كان في حقيقة أمره متجرا للتحف والعاديات . ضغط الجرس ، وابتدر الخادم متسائلا :

– هل السيد "**بابولوس**" موجود .. ؟ أجاب الخادم :

– إنه موجود يا سيدي ، ولكنه لا يستقبل أحدا في مثل هذه الساعة .

– ولكنني أعتقد أنه سيستقبلني ... أبلغه أن صديقه "**المركيز**" بالباب . وصدق الرجل في حدسه ، فقد أقبل السيد "**بابولوس**" بنفسه مرحبا بصديقه "**المركيز**" يدعوه إلى الدخول . قال الزائر :

– يجب أن أعتذر عن حضوري في مثل هذه الساعة المتأخرة غير الملائمة.

– إنك تعرف يا سيدي "**المركيز**" أنني أرحب بك في أي وقت ... لا شك في أن لديك بعض الأنباء لي .. ؟

– إنها أخبار سيئة ... لقد فشلت المحاولة . إن الخطة لم تكن ناضجة محكمة. ولوّح "**بابولوس**" بيده امتعاضا ، فقد كانت كل خططه محكمة محبوكة. وكانت هذه الخطط السديدة هي التي فتحت أمامه أبواب الملوك والأمراء والنبلاء ، يزودهم بأندر الألماسات وأشهر التحف ، وإن لم تكن مصادر بضاعته فوق الريب والشكوك . استطرد اليوناني :

– إن العنف لا يجدي . وهز "**المركيز**" كتفيه في غير اكتراث وقال :

– ولكنه يوفر الوقت على أية حال . ثم أردف في لهجة حاسمة تشف عن اليقين:

– ولكن الخطة التالية لن تفشل . فقال تاجر التحف :

– إنني مطمئن إلى سمعتك . فلاحت ابتسامة عابرة على شفتي "**المركيز**" وقال:

– أستطيع أن أؤكد لك أن ثقتك بي في موضعها . ثم نهض يزمع الانصراف وهو يقول :

– سوف أتصل بك بالطريقة المعهودة .

ولبث اليوناني برهة بعد انصراف زائره يتخلل لحيته بأصابعه، غارقا في التفكير، ثم اتجه إلى باب في صدر الغرفة ، وحين فتحه كاد أن يصطدم بفتاة تسترق السمع، ومع ذلك لم يبد عليه أن فعلتها أدهشته . قال لها في بساطة :

– آه .. ! أهذه أنت يا " **زيلا** " ؟ فأجابت معللة موقفها :

– لم أسمعه ينصرف يا أبي ... كنت ملصقة أذني بخصاصة الباب أستمع إلى ما يقوله فلم أفطن إلى انصرافه . ثم أردفت :

– حين تطلعت من الثقب عند دخوله رأيته يضع قناعا على وجهه ، فهل من عادته أن يفعل ذلك ؟

– هذا دأبه دائما .. مجرد نوع من الحيطة .

– أكان حديثه يا ترى عن الياقوت .. ؟ وأومأ اليوناني برأسه مؤمنا ، ثم قال :

– لكن ما رأيك فيه ؟ فقالت :

– من الغريب أن يتكلم إنجليزيٌّ الفرنسية بمثل هذه الطلاقة واللكنة الأصيلة . فقال السيد " **بابولوس** " :

–أهذا كل ماخطر لك .. ؟ ولكنه لم يعقب بتفسير ما قال . واستطردت الفتاة :

– وقد لاحظت شيئا آخر ... إن شكل رأسه عجيب غير مألوف .

– أتعنين أنه ضخم أكثر من المعتاد .. ؟ إن باروكة الشعر تضفي على الرأس شكلا شاذا . وتبادل الأب وابنته ابتسامة ذات مغزى .

✽✽✽✽✽

- 3 -

رحَّب كاتب الاستعلامات في فندق " **سافوي** " في " **لندن** " بالمليونير الأمريكي " **رافيوس فان ألدن** " وقال له :

– سكرتيرك الرائد " **كايتون** " في جناحك منهمك في العمل .

– أما من رسائل لي .. ؟

– ثمة رسالة وردت منذ قليل . وجاءه بها على الفور ، وأشرق وجه المليونير؛ إذ تبين في الغلاف خط ابنته الحبيبة . صعد المليونير إلى جناحه فاستقبله سكرتيره "**كايتون** " مرحبا في رقة ومودة وساله :

– أرجو أن تكون قد قضيت في " **باريس** " وقتا ممتعا .

– إن " **باريس** " كئيبة مقبضة هذه الأيام ، ولكني حصلت على أية حال على ما كنت أسعى إليه .

– هذا ما أعهده فيك دائما يا سيدي . وألقى المليونير بمعطفه على المقعد ، وقال :

– أثمة شيء عاجل .. ؟

– لا أظن يا سيدي . كان سكرتيرا حاذقا يجيد عمله ويتقنه .

لقد التقى به المليونير الأمريكي مصادفة منذ شهرين في أحد مصايف "**سويسرا**" ، وكان يحتاج إلى سكرتير مؤقت يرافقه في خلال الفترة التي ينوي أن يقضيها في **أوربا** . لم يخف " **كايتون** " عن المليونير أنه يبحث عن عمل ، وقدم إليه سجله عن فترة تجنيده في الجيش ، وكان سجلا رائعا ، حافلا بتزكيات طيبة ، كان فيه تفسير للعرج الخفيف الذي يبدو في مشيته . وارتاح "**فان ألدن** " إلى الرجل، فلم يتردد في إلحاقه بخدمته . وقال الفتى وقد استبدت به الدهشة :

– ولكنني لا أجيد فن السكرتارية .

– إن لديَّ من يتولون هذه الأعمال ، ولكنني أحتاج إلى رجل إنجليزى يشرف

على الناحية الاجتماعية في أثناء إقامتي في هذه البلاد . وقال السكرتير وهو يتناول خطابا من بين رزمة الرسائل المكدسة أمامه :

– أتريد أن تطلع على خطاب خاص بصفقة " **كولتون** " .. ؟ وأجابه المليونير :

– فلنرجئه حتى الغد ، أما الآن فسوف أقرأ هذه الرسالة التي جاءتني من ابنتي .

– السيدة " **كيترنج** " .. ؟ لقد اتصلت بك يا سيدي أمس واليوم أكثر من مرة. وفض " **رافيوس فان ألدن** " الرسالة ، فإذا ابتسامته تتلاشى ووجهه يكفهر وسحنته تنقلب، وفجأة أفلتت من بين شفتي المليونير زمجرة غاضبة، وغمغم يقول:

– هذا شيء لا يحتمل ... من حسن حظ ابنتي المسكينة أن لها أبا يحميها ويذود عنها . وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، ثم اختطف معطفه وارتداه وهو يقول :

– إن جاء أحد لمقابلتي فليذهب إلى الشيطان . وعند الباب استدار نحو سكرتيره قائلا :

– الحق يا " **كايتون** " أنك تروقني ، فعندما أكون غاضبا فإنك لا تحاول أن تقحم نفسك عليَّ بالأسئلة . واسترسل المليونير :

– إن " **روث** " هي ابنتي الوحيدة ، وهي أعز مخلوق عليّ في هذه الدنيا .

ثم ارتد عن الباب ، وأخرج من جيبه لفافة فضها فانكشفت عن علبة صغيرة من القطيفة الحمراء .

فتح " **فان ألدن** " العلبة ، وبسطها أمام عيني سكرتيره ، فشهق الرجل ، ولهثت أنفاسه ، فقد رأت عيناه مجموعة من الياقوت الأحمر ، تتألق فوق وسادة من المخمل الأسود ، حتى تكاد تبهر البصر ، وهتف :

– هل هي .. هل هي حقيقية .. ؟ وضحك " **فان ألدن** " في ابتهاج ورضاء وأجاب :

– تساؤلك لا يدهشني ، فبين هذه اليواقيت ثلاثة من أكبر الفصوص في

العالم... لقد كانت " **كاترين** " إمبراطورة "**روسيا**" تتحلى بها . وهذه الياقوتة الوسطى معروفة باسم " **جذوة النار** " .

– إنها تساوي ثروة دون شك ..

– مليون دولار يا صديقي .. !

– ومع ذلك تحملها في جيبك دون خوف ؟ وضحك " **فان ألدن** " وأجاب :

– إنني ذاهب بها إلى ابنتي ... إنها هديتي إليها . فابتسم الرائد " **كايتون** " وقال :

– الآن عرفت لمَ كانت مشتاقة إلى مقابلتك. واستعاد وجه " **فان ألدن** " صرامته واكفهراره وقال :

– إنها لا تعرف عن هذه الهدية شيئا . وأغلق العلبة ، ودسها في جيبه ، ثم قال:

– " **روث** " أعز إنسان عندي ، ولكم يسعدني أن أقدم إليها شيئا يسعدها ولو لحظة واحدة . ثم أردف في نبرة بها لمسة من المرارة :

– لكن كيف تسعد وهي في بيتها شقية منكودة. ثم استدار وغادر الغرفة صامتا.

- 4 -

لم تفطن السيدة " **روث ديريك كيترنج** " إلى جرس الباب وهو يصلصل ولا إلى وقع خطوات أبيها وهو يجتاز الغرفة . وحين لمحته منتصبا أمامها هبت مجفلة وهي تهتف :

– أبي .. ! لقد طلبتك أكثر من مرة . وقال أبوها :

– لقد وصلت لتوي من "**باريس**". ما هي حكاية " **ديريك** " .. ؟ وتضرَّج وجه " **روث** " احمرارا لفرط غضبها وقالت :

– الحياة معه أصبحت لا تطاق .. إنه يأبى أن ينصاع إلى أية كلمة أقولها .

– حدثيني بما جرى .

– تصور أنني لم أر وجهه منذ شهر .. ! إنه دائما في أحضان تلك المرأة .. "**ميريل**" راقصة ملهى " **بارثينون** " . فقال أبوها :

– لقد تحدثت في هذا الشأن إلى أبيه اللورد" **ليكنبوري** " ، وهو متعاطف معي بالتأكيد ، ولكنني أعرف أنه لا حيلة له في الأمر أمام هذا الابن الأحمق . وسألته ابنته :

– لكن ألا تستطيع أنت يا أبي أن تفعل شيئا .. ؟ وأجاب وهو ساهم غارق في التفكير :

– ربما . ثم رفع رأسه إليها وحدجها بنظرة ثابتة وقال :

– " **روث** " .. هل لديك من الشجاعة ما يجعلك تعترفين أمام العالم بأنك كنت مخطئة .. ؟ فتطلعت إليه مستفسرة في شيء من الدهشة ، وتساءلت :

– ماذا تعني يا أبي .. ؟

– الطلاق .. ! إنه السبيل الوحيد . واستطرد :

– كل من يشقى في حياته الزوجية لا يتردد في الطلاق . لبثت الفتاة صامتة فاسترسل " **فان ألدن** " قائلا :

– الطلاق هوالحل الذي لا حل سواه .. لقد حاولت أكثر من مرة أن أعيد إليك "**ديريك** " ولكنه كان لا يلبث أن يرتد راجعا إلى راقصته " **ميريل** " ... إنه فاسد متعفن لا يصلح لك . وربت الأب ذراع ابنته في حنان وقال :

– إنك لم تكوني قط سعيدة في حياتك ، يجب أن تبدئي حياتك من جديد... إن " **ديريك كيترنج** " لم يتزوجك إلا من أجل مالك ... استمعي إلى نصحي وتخلصي منه في الحال . وأرخت " **روث** " بصرها إلى الأرض برهة، ثم قالت :

– هب أنه لم يوافق على الطلاق . وتطلع إليها أبوها في دهشة وقال :

– وهل يمكن أن يكون له رأي في الموضوع .. ؟ إنني أستطيع أن أسحقه بمجرد إيماءة من إصبعي .

– أعرف هذا ، ولكن هب أنه ناضل أمام القضاء .

– وهل لديه شيء يمكن أن يتشبث به .. ؟ وتضرَّج وجه الفتاة احمرارا وأشاحت بعينيها، وسألها أبوها في نبرة تنبض بالحنان وبالتوجس :

– " **روث** " ... أراك تكتمين دوني شيئا .. ؟ فأجابت في ارتباك :

– كلا .. لا شيء إطلاقًا . بيد أن صوتها كان خاليا من نبرة الإقناع ، وأردفت :

– إذا كان هذا هو رأيك يا أبي، فإني أقرُك عليه .

– إذن دعي الأمر لي ولا تشغلي بالك . ثم استطرد وهو يدس يده في جيبه :

– لقد جئتك بهدية من "**باريس**" .

– حقا .. ؟ شكرا لك يا أبتاه . وبسط إليها العلبة المخملية فانكشفت عن قلادة الياقوت المتوهج احمرارا. وهتفت الفتاة في نشوة طاغية :

– يا إلهي .. ! إنها تحفة نادرة . وطوقته بذراعيها وانهالت عليه تقبيلا . وقال أبوها :

– هذه الياقوتة الوسطى ذات قيمة تاريخية ... إنها معروفة باسم " **جذوة النار** " .

وتناولت القلادة ، وطوقت بها عنقها ، ووقفت أمام المرآة تتأمل هيئتها وعيناها تشعان بريقا متأججا، ثم استدارت إلى أبيها تغمره من جديد بقبلاتها، وقال لها :

– غدا قد نلتقي عند " **جالبريث** " .

و "**جالبريث** " هو محامي المليونير الأمريكي في "**لندن**" . وسألته :

– أرجو ألا يحول موضوع القضية دون سفري إلى "**الريفييرا**" يوم 14 .

– إن إعداد عريضة الدعوى لا يستغرق وقتا طويلا . ثم استطرد :

– لا يجمل يابنتي أن تأخذي معك هذا العقد ، بل أودعيه خزانتك في البنك،

كثيرون قتلوا في سبيل " **جذوة النار** " .

– ومع ذلك كنت تحملها في جيبك بكل بساطة .

– ولهذا تعرضت لمغامرة قاتلة ... هاجمني اثنان من الصعاليك وفرًا هاربين عندما أطلقت النار . فضحكت " **روث** " قائلة :

– عهدي بك دائما صلب المراس .

حين رجع " **رافيوس فان ألدن** " إلى فندقه أمر سكرتيره الرائد " **كايتون** " أن يبحث عن زوج ابنته السيد " **كيترنج** " ، وأن يدعوه إلى مقابلته ظهر اليوم التالي . كما أمره أن يستدعي أيضا رجلا يدعى " **جوبي** " لمقابلته في التاسعة والنصف صباحا .

- 5 -

جاء السيد " **جوبي** " إلى الفندق طبقا للموعد المضروب وابتدره المليونير :

– إن لديَّ مهمة لك يا " **جوبي** " . واستطرد :

– إنك تعرف أن ابنتي متزوجة بالسيد "**ديريك كيترنج**" ، واستجابة لمشورتي قررت " **روث** " أن تطلب الطلاق ، ولهذا أريد تقريرا وافيا عن السيد "**كيترنج**" وخصوصًا عن علاقاته النسائية .. فمتى توافيني به؟

– هل أنت في عجلة من أمرك يا سيدي ..؟

– ذاك دأبي دائما .

– حسنا .. سيكون التقرير أمامك في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم .

– شكرا لك ... ساكون في انتظارك إذن . ودعا " **فان ألدن** " سكرتيره بعد انصراف زائره وقال له :

– سأتفرغ لك ساعتين أو ثلاثا ، فهات ما لديك . وبينما كان " **كايتون** " يعد الأوراق قال له هذا :

– إن " **جوبي** " رجل نافع ، وقد أسداني بعض الخدمات .

– وما مهنته يا سيدي .. ؟

– التحريات ... إنه جعبة حافلة بالمعلومات، ولو أنني سألته أن يوافيني بالتاريخ السري الخفي للملك "**إنجلترا**" لما أعياه ذلك الأمر . وأمن " **كايتون**" بقوله :

– هذا رائع . ثم انهمك الرجلان في العمل إلى أن حان الموعد الذي ضربه لزوج ابنته . حيًا " **كيترنج** " حماه في صوت متراخ ناعم النبرات ، صوت طالما فتن النساء ثم أردف متسائلا :

– إنها فترة طويلة لم أرك في خلالها يا سيدي ... سنتان تقريبا .. ترى هل قابلت " **روث** " أخيرا .. ؟

– كنت عندها الليلة الماضية . وتصلب وجه " **فان ألدن** " وقال في اقتضاب :

– لا داعي إلى أن ألفّ وأدور ... سأواجهك بالحقيقة ... لقد أشرت على "**روث**" بأن تطلب الطلاق . ونفث " **كيترنج** " من سيجارته حلقة من الدخان وقال:

– وما رأي " **روث** " .. ؟

– إنها تعتقد أن الطلاق هو الحل الصائب . فقال " **كيترنج** " في صوت هادئ :

– إنني كنت أفكر في " **روث** " نفسها ... إنك تعلم أن صحة أبي سيئة ، ولن تمضي سنوات حتى ينتقل إليّ لقب اللوردية ، فلو أن " **روث** " تريثت قليلا لفازت باللقب و هو ما كانت تهدف إليه بزواجها بي . فقال " **فان ألدن** " مزمجرا:

– إن وقاحتك لا تحتمل . واستطرد " **كيترنج** " دون أن يبالي بمقاطعة حميه:

– الا تموت " **روث** " حسرة حين ترى امرأة أخرى تحمل لقب اللوردية إذا طلقتني فتزوجت غيرها .. ؟ فقال " **فان ألدن** " :

– إنني أتكلم كلاما جادًّا أيها الفتى ولا أمزح .

– وأنا أيضا جاد في كلامي ... إنني ماليا في مأزق دقيق ، وإذا طلقتني "**روث** "

هبطت إلى الحضيض . وإذا كانت قد احتملتني عشر سنوات ، فلمَ لا تحتملني سنوات أخرى قليلة ؟ إن أبي لن يعيش أكثر من عام ، وإنه لمن المؤسف ألا تنال "**روث** " ما تزوجتني من أجله .

– أتعني أن ابنتي تزوجتك سعيا وراء لقب اللوردية ؟ وأطلق "**كيترنج**"ضحكة تفيض سخرية وقال :

– إنك بالتأكيد لا تعتقد أنها تزوجتني عن حب . فقال " **فان ألدن** " :

– لم تكن تلك هي كلماتك وأنت تتحدث إليّ في "**باريس**" منذ عشر سنوات.

– ربما كنت على حق .. إن " **روث** " جميلة ، وكنت عندئذ أطمع في أن أطوي الماضي وأبدأ صفحة جديدة تستقر فيها حياتي مع زوجة تحبني وتخلص لي . فقال " **فان ألدن** " في صوت صارم النبرات :

– لقد دعوتك إلى مقابلتي لأبلغك بما استقر عليه رأينا بشأن الطلاق . إن من حق ابنتي أن تبدأ حياة جديدة، ولا تنس أنني بجانبها أساندها وأؤازرها . ونهض " **كيترنج** " واقفا ، ومشى إلى المدفأة فألقى فيها بعقب سيجارته ، وحين استدار تكلم في هدوء و قال :

– ترى ما الذي تعنيه بهذه العبارة .. ؟

– أعني أن من مصلحتك ألا تعارض دعوى الطلاق .

– وهبني عارضت .. ؟

– وعلى أي شيء سوف تستند في معارضتك ..؟ إن فضائحك وعلاقاتك النسائية حديث "**لندن**" .

– لعلك تقصد علاقتي بالراقصة " **ميريل** " .. ؟ إن " **روث** " تقيم الدنيا وتقعدها بسبب هذه الراقصة ، ولكنها مخطئة في هذا ، فأنا لا أتدخل في علاقتها بأصدقائها . فقال " **فان ألدن** " في صوت حاد النبرات :

– ما الذي تعنيه بهذا .. ؟ فضحك " **كيترنج** " قائلا :

– يبدو لي يا سيدي أنك تجهل الكثير من الحقائق .. إنني لا ألومك ، فمن

الطبيعي أن تكون متحيزا . وتناول " **كيترنج** " قبعته وعصاه واتجه إلى الباب وهو يقول :

– ليس من عادتي أن أسدي النصح إلى الناس، ولكنني أشير عليك يا سيدي بأن تطلب من ابنتك أن تكون صريحة معك، وأن تدلي إليك بكل الحقائق .وخرج من الباب مسرعا وأوصده وراءه تاركا " **فان ألدن** " وراءه يسائل نفسه :

« بحق السماء ما الذي يعنيه بهذه الكلمات .. ؟ » .

جاء السيد " **جوبي** " يزور الأمريكي طبقا للموعد . وشرع " **جوبي** " يتكلم في هدوء ، و " **فان ألدن** " يرهف السمع دون أن يقاطعه بكلمة أو استفسار. وحين فرغ من حديثه عقَّب المليونير بقوله :

– إذن فدعوى الطلاق ناجحة دون شك ... هل دليل الفندق مؤكد يا "**جوبي**" ..؟

– دون شك يا سيدي ... إنه قاطع في إثبات الخيانة الزوجية .

– قلت إنه مفلس تماما ، وإنه يحاول عقد قرض، فإذا ما ذاع أمر الطلاق فلن يجرؤ أحد على أن يقرضه بنسا واحدا ... هذا رائع يا " **جوبي** " ... إنه في قبضة يدنا، ونستطيع أن نضغط عليه . وانطلق المليونير إلى شارع " **كيرزون** " لمقابلة ابنته .

وبينما كان مقبلا على البيت لمح رجلا يغادره ، فتطلع إليه بنظرة سريعة عابرة، وخُيِّل إليه أنه يعرف الرجل . وخفت " **روث** " إليه تسأله عما لديه من أنباء . وأجاب :

– لديّ كلمة أحب أن أصارحك بها. لقد قابلت زوجك ظهر اليوم وتحدثت إليه في موضوع الطلاق .

– وكيف كان جوابه .. ؟

– كان وقحا سليط اللسان ، ولكنه أشار إلى شيء لم أتبين مرماه .. لقد نصحني بأن أسألك أن تكوني صريحة معي . ترى ما الذي يعنيه بهذا يا"**روث**" .. ؟

وتململت السيدة " **كيترنج** " في مقعدها مرتبكة وقالت :

– وأنَّى لي أن أعرف يا أبتاه .. ؟

– بل تعرفين دون شك ... لقد قال أيضا إنه لا يتدخل في علاقاتك بأصدقائك ، فما الذي يعنيه .. ؟ فعادت تقول في إصرار :

– لا أعلم .. وران عليها الصمت برهة ، ثم قال " **فان ألدن** " :

– اسمعي يا " **روث** " .. يجب أن أعرف جميع الحقائق حتى لا أفاجأ بشيء لا أتوقعه .. يجب أن أعرف ما عناه بقوله إنه لا يتدخل في علاقاتك بأصدقائك . وهزت " **روث** " كتفيها في غير مبالاة وقالت :

– إن لي بالتأكيد كثيرا من الأصدقاء . وصمت " **فان ألدن** " برهة ، ثم قال في صوت خافت :

– " **روث** " ... من هو الرجل.. الرجل الذي عناه " **ديريك** " بعبارته...؟ إنه يعني رجلا معينا من بين أصدقائك .. ! إنك تعرفين أنهم في المحاكم يفسرون أتفه العلاقات على هواهم ... أرجو أن تصارحيني بكل شيء . ولم تجب " **روث** " ، ولكن يديها أخذتا ترتجفان .

– هيا يا حبيبتي ... صارحيني بكل شيء .. إنني صديق متفهم متسامح ... أرجو أن تتكلمي . وإذ لبثت صامتة استطرد يقول :

– لقد قابلت الرجل في الشارع منذ لحظات ... ألاتزالين على علاقة به .. ؟

– من تعني يا أبتاه .. ؟

– أعني ذلك الأفّاق الذي كنت على علاقة به قبل زواجك .. الكونت "**دي لاروش** " . واستطرد :

– لقد قلت لك إنه مغامر أفّاق محتال ونصحتك بالابتعاد عنه .. وأجابت :

– لقد أخذت بنصيحتك و تزوجت " **ديريك** " .

– ولكنني لمحته اليوم يغادر بيتك .. ! ولم تجب " **روث** " وإنما انخرطت في البكاء . وضرب " **فان ألدن** " كفا بكف ، وغمغم يقول :

– ألا ما أشد حماقة النساء .. !

- 6 -

كان " **ديريك كيترنج** " في طريقه إلى بيت صاحبته " **ميريل** " وهو شارد الذهن بسبب دعوى الطلاق ؛ إذ لم يغب عنه أن انفصاله عن زوجته الثرية سيكون ضربة قاصمة له وهو المفلس الذي يعيش على أموالها .

وبلغ من ارتباكه أن اصطدم وهو يغادر فندق " **سافوي** " بفتاة كانت تهم بالدخول، فتحوَّل إليها معتذرا، ثم تابع طريقه يلوح أمامه وجهها الجميل... وجه ذو عينين رماديتين صافيتين لم ير لهما مثيلا . تلقته " **ميريل** " بذراعين مفتوحتين، وطبعت على شفتيه قبلة أودعتها حرارة متأججة ، وتمددت على الأريكة في وضع يفيض إغراء وقالت :

– ليتك بكرت قليلا ... " **أمبروز** " كان هنا ... وعرض عليّ دورا في أوبراه الجديدة " **بيرجنت** " ، وهو دور سأرقص فيه وأنا شبه عارية ، ولا تسترني إلا أكداس من الجواهر .. وبهذه المناسبة لقد رأيت بالأمس يا حبيبي لؤلؤة سوداء نادرة في شارع " **بوند** " . فقال " **كيترنج** " :

– لا فائدة يا عزيزتي في أن تتحدثي إليّ عن اللآلئ السوداء أو حتى البيضاء... إنني الآن في ورطة لا أجد لي منها مخرجا .

– ما هذا الذي تقول ... ؟ ما الذي جرى ..؟

– لقد قرر حماي العزيز أن يطلقني من ابنته .

– لكن ماذا نويت أن تفعل .. ؟

– وما عساي أستطيع .. ؟ إنه بملايينه يستطيع أن يسحقني وأنا المسكين المفلس.

– لكن زوجتك تحبك فيما أعرف . ولم يحر " **كيترنج** " جوابا . وبعد سكتة قصيرة قال :

– " **ميريل** " ... ما رأيك .. ؟ هل ستتخلين عني .. بعد الطلاق .. حين

ينقض عليّ الدائنون وينشبون فيَّ مخالبهم كالذئاب الجائعة؟ اعتدلت " **ميريل** " في جلستها ، وقالت :

– إنك تعرف أنني أحبك يا " **ديريك** " . وفطن إلى مراوغتها وعزوفها عن الرد فقال :

– إذن فالأمر كذلك .. الجرذان تغادر السفينة الغارقة ! وهزت " **ميريل** " كتفيها في غير اكتراث وقالت :

– إنك تعرف يا صديقي أنني مغرمة بك ... إنك شاب لطيف جذاب ، ولكنني امرأة عملية .

– أي أنك تديرين ظهرك للفقراء . وتمددت على الأريكة ، واحتضنت الوسائد وقالت :

– لك أن تقول هذا إن شئت ! مشى إلى النافذة ومضى يطل على الطريق بنظرة ساهمة شاردة غارقا في خواطره. وتحاملت الراقصة على نفسها ، ومضت إليه :

– ماذا بك يا صديقي .. ؟ فيمَ تفكر .. ؟ ورماها من فوق كتفه بنظرة لاهية وأجاب :

– الواقع أنني كنت أفكر في امرأة . فتساءلت " **ميريل** " :

– امرأة .. ؟ أية امرأة .. ؟ أتراك تفكر في امرأة سواي .. ؟ فأجاب :

– انفضي عنك القلق، فما هي إلا مجرد صورة خيالية .. السيدة ذات العينين الرماديتين . وضحك " **كيترنج** " وقال في سخرية لاذعة :

– أتراك تغارين .. ؟ لقد اصطدمت بها في مدخل فندق " **سافوي** " . وألقت " **ميريل** " بذراعيها حول عنقه، وكأن الذراعين ثعبان يطوقه ويدور بجسده . وقالت :

– إنك تعلم يا " **ديريك** " أنني أحبك ، ولكنني لم أخلق للفقر .. نعم ... إنني أكره أن أعيش فقيرة ، ومع ذلك فالعلاج سهل وهين .. تصالح مع زوجتك.

– مستحيل .. " **فان ألدن** " إذا اتخذ قرارا فلن ينكص عنه .

– لقد سمعت عنه .. منذ أيام اشترى أروع ياقوتة في العالم ... " **جذوة النار** "

الشهيرة . ولم يجب "**كيترنج**" ، فاسترسلت " **ميريل** " :

– إنها ياقوتة رائعة لا تليق إلا بامرأة مثلي .. لكم أتمنى أن أتحلى بـ "**جذوة النار**" ... لا شك في أنه ابتاعها ليهديها لابنته ... زوجتك .

– لا شك في هذا ... إنه يحبها جداً ، فهو لم ينجب سواها . هي في غاية الثراء ، فعندما تم زواجها بي أهداها " **فان ألدن** " مليونين من الجنيهات . وهتفت " **ميريل** " :

– مليونان .. ! يا إلهي .. ! وهبْ أن زوجتك ماتت فجأة ، فأنت الذي سترثها بالتأكيد . فعقَّب "**كيترنج**" في بطء :

– أعتقد ذلك ، فإنها لم تحرر وصية فيما أعلم . وهتفت الراقصة :

– آه .. ! لو أنها ماتت لكان هذا هو الحل الأمثل لمشكلتك . وران عليهما السكوت برهة ، ثم قال " **كيترنج** " ضاحكا :

– ولكن أمنيتك بعيدة التحقيق ... إن " **روث** " في صحة جيدة ممتازة .

– وهل لا يموت المرء إلا مرضا ..؟ أنسيت الحوادث المفاجئة .. ؟ وتطلع "**كيترنج** " إليها في حدة ، فاستطردت تقول:

– أصبت .. يجب ألا تتعلق بالأماني والاحتمالات .. اسمع يا عزيزي "**ديريك**" ، هذا الطلاق يجب ألا يقع .

– وكيف السبيل إلى هذا .. ؟

– إن زوجتك من الطراز الذي يرعبه التشهير ... إنها تكره أن تجد اسمها على صفحات الصحف .

– ماذا تعنين بحق السماء .. ؟

– أنسيت يا صاح علاقتها بالكونت "**دي لاروش** " .. ؟ ألم يكن عشيقها قبل أن تتزوجك ..؟ وأمسك " **كيترنج** " بكتفيها يهزها في عنف :

– هذه فرية كاذبة ... ! تذكري من فضلك أنك إنما تتحدثين عن زوجي . وتطلعت إليه " **ميريل** " في دهشة ، ثم قالت :

– ألا ما أغربكم أيها الإنجليز .. ! ولكن اسمح لي أيها العزيز بأن أؤكد لك أنها كانت مدلهة في غرامه قبل أن تتزوجك ، وأن أباها تدخل في الأمر وأرغم الكونت على الابتعاد عن ابنته . وسكتت " **ميريل** " هنيهة ، ثم استطردت :

– وثمة شيء لعلك لا تعرفه .. لقد تغير الوضع الآن ، فهي تلتقي بالكونت كل يوم تقريبا ، وفي الرابع عشر من هذا الشهر سوف تسافر زوجتك إلى "**باريس**" لتلتقي بالكونت . وسألها " **كيترنج** " :

– وأنَّى لك أن تعرفي هذا .. ؟

– إن لي في "**باريس**" عديدا من الأصدقاء على صلة وثيقة بالكونت .. وهو يتباهى بعلاقته بابنة المليونير. واستطردت :

– زوجتك تزعم أنها ذاهبة إلى " **الريفييرا** " ، لكن الحقيقة أنها ستقابل الكونت في "**باريس**" ... لو أنك على شيء من المكر والدهاءلاستطعت أن تدبر لها مكيدة وتهددها بالفضيحة . وصرخ فيها " **كيترنج** " مهتاجا :

– بحق السماء أمسكي لسانك السليط .

وهبَّ " **كيترنج** " واقفا ، وانطلق خارجا يدق الأرض بقدميه غضبا واهتياجا .

- 7 -

ما كادت الآنسة " **كاترين جراي** " تفرغ من فطورها حتى حمل إليها البريد رسالتين كان هذا نص الأولى :

" عزيزتي الآنسة " **جراي** " . إنني وزوجي نقدم إليك خالص الشكر على خدمتك لابنة عمي " **إيما** " المسكينة التي كانت وفاتها صدمة أليمة لنا جميعا ، وإن كنا نعلم أن عقلها في سنيها الأخيرة كان مختلا ، وهذا ما يجعلك تدركين أن وصيتها لك بأموالها لا ترتكز على سند قانوني سليم ، أعتقد أنك بما جبلت عليه من حكمة تؤثرين أن تسوي هذه المسألة بيننا بطريقة ودية دون حاجة إلى القضاء .

وفي هذه الحالة يسعدنا أن نهديك مبلغا من المال تستعينين به على مطالب الحياة . وختاما أرجو أن .. إلخ – " **ماري آن هاتفيلد** " .

كانت " **كاترين جراي** " في الثالثة والثلاثين من عمرها تنحدر من أسرة كريمة، وحين خسر أبوها ثروته اضطرت إلى أن تعمل في سبيل لقمة العيش، وفي الثالثة والعشرين عملت رفيقة للسيدة " **إيما هاتفيلد** " .

كانت السيدة " **هاتفيلد** " صعبة المراس، تقلبت عليها المرافقات دون أن يطقن البقاء معها ، فأثار عجب الناس أن تبقى " **كاترين جراي** " في خدمتها عشر سنوات متصلة ، وحين ماتت العجوز أوصت بثروتها للمرافقة المخلصة .

كانت " **كاترين** " غارقة في خواطرها تستعيد إلى ذهنها ذكريات حياتها ، والرسالتان على المائدة أمامها . ورن جرس الباب ، وكان القادم هو الدكتور "**هاريسون** " طبيب القرية ، قرية " **سان ميد** " . قال :

– لقد بكرت في الحضور؛ إذ أخبرتني هذه المرأة الحسود السيدة " **صامويل هاتفيلد** " بأنها تنوي أن تكتب إليك خطابا وقحا بشأن تركة ابنة عمها . ودفعت إليه " **كاترين** " بالرسالة فقال وقد فرغ من تلاوتها:

– وقاحة ما بعدها وقاحة .. لا تبالي يابنتي العزيزة بما يقولون . إن القانون في صفك ، ولن يجسروا على رفع الأمر إلى القضاء ... إياك أن تأخذك بهم الرحمة أو تبكيت الضمير . وأجابته " **كاترين** " :

– إن ضميري لا يبكتني ، فقد خبرت عقوقهم ، فطوال السنوات العشر التي أمضيتها معها لم يطرق أحد منهم بابها . والآن وقد ماتت يزعمون أن لهم الحق في ثروتها . عقَّب الدكتور " **هاريسون** " بحماس قائلا :

– إن لك الحق كل الحق في أن تستمتعي بأموالها ... لقد أفنيت زهرة عمرك في خدمتها . وسألته " **كاترين** " :

– هل تعرف كم تبلغ تركتها .. ؟ وأجاب :

– لا أعرف ، ولكنني أعتقد أنها يمكن أن تدر عليك دخلا سنويا لا يقل عن

خمسمائة جنيه . وابتسمت "**كاترين**" و قالت :

– وهذا هو ما ظننته أنا نفسي ، والآن اقرأ هذا . ودفعت إليه بالخطاب الأزرق الذي جاءها مع البريد . وتجلت الدهشة في وجه الطبيب ، وغمغم :

– هذا عجيب .. ! إنها ثروة طائلة . لا شك في أنها لم تكن لتنفق في خلال الأربعين سنة الماضية ، فتكدست مدخراتها . إنك الآن يا عزيزتي امرأة ثرية جدا . فأومأت برأسها مؤمنة وقالت :

– أعتقد هذا .

روى الدكتور " **هاريسون** " النبأ لزوجته فقالت :

– إن " **كاترين جراي** " قديسة تستحق ما نالها من خير . وحين خرج الطبيب مضت زوجته لتزور " **كاترين جراي** " . هنأتها بالثروة التي هبطت عليها، وشكرت لها " **كاترين** " كريم مشاعرها ، ثم قالت الزائرة :

– لقد جئت أبغي أن أتحدث إليك عن نفسك وعن خططك المستقبلة . ترى ماذا تنوين أن تفعلي .. ؟ فأجابت الفتاة :

– لم أفكر بعد في شيء على وجه التحديد ، ولكني أريد أن أرى الدنيا وأطوف بأرجائها . فقالت المرأة الطيبة :

– إنك محقة في هذا ، فحسبك أنك دفنت نفسك هذه السنوات في هذه البقعة البدائية . وعادت " **كاترين** " تقول :

– إني أحتاج إلى الانطلاق .سأسافر أولا إلى "**لندن**" لأقابل محامياً وبعد ذلك... فقاطعتها السيدة " **هاريسون** " :

– إنك يا " **كاترين** " فتاة جميلة ، ولا تفتقرين إلا إلى الثياب العصرية الأنيقة . فضحكت الفتاة وقالت :

– إنني أعرف أنني لست بالجميلة ، ولكنني على أية حال أحتاج إلى ثياب جميلة ، وسوف أبادر إلى شرائها بمجرد وصولي إلى "**لندن**" .

وذهبت " **كاترين** " تزور عجوزا تدعى الآنسة " **فاينر** " من صديقات

مخدومتها التي رحلت إلى العالم الآخر .

ورددت الآنسة " **فاينر** " نفس ما سمعته من السيدة " **هاريسون** " .. قالت لها إن حظها من الجمال محدود ، وإن كانت لعينيها الرماديتين النجلاوين جاذبية لا تقاوم ، وقالت أيضا إن الثياب الجميلة كفيلة بإبراز جمالها . وفي صباح اليوم التالي غادرت " **كاترين جراي** " قرية " **سان ميد** " وفي وداعها كان أهل القرية جميعا يحفون بها ويحيونها في حرارة .

- 8 -

كانت الليدي "**تامبلين**" إحدى سيدات المجتمع في " **الريفييرا** " ، وكانت فيلاً " **كاب مارتين** " التي تقطنها مشهورة بالحفلات الرائعة التي تقام فيها ، وهي حفلات يؤمها رهط غير قليل من علية القوم ونجوم المجتمع .

وفي ذلك الصباح من أيام شهر كانون الثاني (يناير) كانت الليدي "**تامبلين**" جالسة في الشرفة تطالع الصحف . وهتفت بابنتها " **لينوكس** " :

– هذا غريب .. ! مدهش .. ! وتناولت الفتاة الصحيفة وجرت بعينيها على الفقرة التي أومأت إليها أمها ، ثم قالت :

– وأي شيء في هذا .. ؟ إنه أمر مألوف لا غرابة فيه .. امرأة عجوز تقضي نحبها وتوصي بملايينها للرفيقة التي آنست وحدتها . فقالت أمها :

– صدقت ، ولكن الأمر الغريب أن هذه الفتاة " **كاترين جراي** " تمتُّ إلينا بصلة القرابة . إنها تكاد تكون ابنة عمي وكنت أسائل نفسي ... فقاطعتها ابنتها" **لينوكس** " بصراحتها المؤلمة المعهودة :

– كنت تسائلين نفسك عما إذا كان في وسعك أن تصيبي قسطا من المال الذي هبط عليها من السماء. فزمجرت أمها في نبرة لائمة :

– ألا تكفِّين يا عزيزتي عن هذه الأفكار السخيفة .. ؟ واستطردت الأم :

– كنت أسائل نفسي عما إذا كان واجبا عليّ أن أدعوها إلى الإقامة معنا فترة من الوقت .. ؟ إنها قريبتنا ويجب أن نرعاها . فقالت " **لينوكس** " ساخرة :

– صلة الرحم أم صلة المال .. ؟

– تبًّا لك من مزعجة لا تطاق يا عزيزتي "**لينوكس** " . وفي هذه اللحظة جاء إلى الشرفة زوجها الفيكونت "**تامبلين** " الذي يصغرها ببضعة أعوام .

كان الفيكونت هو الزوج الرابع لليدي " **تامبلين**" ، أتاها باللقب النبيل الذي تهفو إليه ، وأغرقته في أموال أزواجها الثلاثة الذين رحلوا إلى العالم الآخر . وتابعته ببصرها وهو يهبط الدرج إلى الحديقة . وعادت الليدي تقول :

– لا شك في أن عزيزتي " **كاترين** " التي عاشت أيامها في الريف لا تعرف شيئا عن الدنيا ، والآن وقد هبطت عليها هذه الثروة فهي تحتاج إلى من يرعاها ويدفعها إلى حياة المجتمعات الراقية ، وسوف أكون أنا رائدتها . وبالصراحة الكريهة نفسها قالت " **لينوكس** " :

– وما المبلغ الذي تعتقدين أنك ستبتزينه منها مقابل هذه الخدمة .. ؟

– " **لينوكس** " .. ألا تكفين عن هذه العبارات ؟

– أليس هذا هدفك الحقيقي يا أماه .. ؟ واستطردت الأم :

– إنني أذكر أنها كانت فتاة لطيفة .

– ألا تخشين أن تطغى فتنتها على " **تشوبي** " ؟

– إن زوجي لا يمكن أن ينظر إلى امرأة سواي .

– بالتأكيد .. بالتأكيد .. فهو ذكي يعرف كيف يحرص على اليد التي تطعمه .

– يا إلهي .. ! إنك لا تحتملين يا عزيزتي . ولم تتردد الليدي "**تامبلين**" ... تناولت رقعة من الورق ، وسطرت على الفور خطابا رقيقا لابنة العم العزيزة .

وجاءت " **كاترين جراي** " إلى "**لندن**" ، ومضت من فورها إلى مقابلة محامي مورثتها الذي يتولى أمر التركة .

وتداولا برهة في شأن الوصية ، ثم أطلعته على خطاب السيدة " **صامويل**

هاتفيلد " - ابنة عم مورثتها - الذي تهددها بالاعتراض على الوصية، فقال المحامي :

- محاولة فاشلة ... إنني أؤكد لك أنه ليس لهؤلاء القوم سند قانوني للاعتراض على الوصية . فقالت :

- وهذا هو ما خطر ببالي . ثم استطردت :

- ومع ذلك فإني أحب أن أخص أقارب السيدة " **هاتفيلد** " بقدر من المال ... فقال المحامي معترضا :

- وما جدوى ذلك .. ؟ فقالت ضاحكة :

- أعرف أنهم سيسلقونني بألسنة حداد، ومع ذلك فإني مصرة على رأيي.

وخرجت " **كاترين** " من مكتب المحامي إلى محل أزياء تديره سيدة فرنسية اشتهرت في "**لندن**" بخبرتها وحسن ذوقها ، وقالت لها في بساطة :

- لقد عشت طوال حياتي أكابد الفقر ، ولم أغادر قريتي الريفية حتى ولا يوما واحدا ، ثم ورثت مالا كثيرا ، وأريد الآن أن أستمتع بأموالي؛ ولذلك أضع نفسي بين يديك لتشيري عليّ بما ترين . وتفحصتها السيدة بنظرة دارسة ثم قالت :

- إن لك قواما بديعا .. كوني مطمئنة يا سيدتي ... سأختار لك من الثياب ما يضفي عليك جاذبية لا تقاوم .

وفي الطريق إلى الفندق تذكّرت الرسالة التي تلقتها من الليدي "**تامبلين**" وقالت في نفسها : «إنها الوحيدة التي يمكن أن تقتحم بي أبواب المجتمعات الراقية» . وعرجت على مكتب " **كوك** " للسياحة ، وانتظمت في الصف أمام شباك الحجز تنتظر أن يحين دورها .

كان الرجل الذي أمامها يحجز لنفسه تذكرة للسفر إلى " **الريفييرا** " ، وحين استدار منصرفا خطت مكانه ، وشرعت تتحدث إلى الكاتب وهي شاردة بعض الشيء فقد كان ذهنها منشغلا بأمر آخر .

وفجأة تذكرته ... إنه الرجل نفسه الذي اصطدمت به في ذلك الصباح في مدخل فندق " **سافوي** " . وأدارت رأسها تتابعه ببصرها ، فإذا هو متسمر عند باب المكتب يتأملها في دهشة، وهو يغمغم في نفسه : « هذا عجيب ..! إنها هي نفسها .. ! السيدة ذات العينين الرماديتين ..!».

- 9 -

ما لبث " **ديريك كيترنج** " أن استعاد هدوءه وهو الذي غادر مسكن الراقصة "**ميريل**" ثائرا مهتاجا .

إنه يحتاج بشدة إلى سكينة الأعصاب؛ ليتسنى له أن يتدبر أمره حتى ينتشل نفسه من الهاوية التي يدفعه إليها " **رافيوس فان ألدن** " بلا شفقة أو رحمة . وفي طريقه مرَّ بمكتب " **كوك** " للسياحة ، فتجاوزه ببضع خطوات ، وفجأة استدار في حركة مباغتة راجعا إلى المكتب وقد استقر رأيه على قرار معين . قال لكاتب الحجز:

– أريد أن أسافر إلى " **نيس** " في الأسبوع المقبل ... يوم 14 من شهر كانون الثاني (يناير)، فبمَ تشير عليّ .. ؟ ورجع الكاتب إلى سجلاته ، ثم قال :

– ثمة ثلاث مقصورات خالية في القطار الأزرق يا سيدي ، فبأي اسم تريدني أن أحجز المقصورة .. ؟ وأجابه " **ديريك** " :

– باسم " **بافيت** " ... رقم 17 شارع " **جرين** " . وكان " **بافيت** " هو اسم وصيفه الخاص ؛ إذ لم يشأ – لغرض في نفسه – أن يحجز المقصورة باسمه . واستدار " **ديريك كيترنج** " منصرفا ، وحل الدور على من يليه . وقالت الفتاة :

– إنني أريد أن أسافر إلى " **نيس** " يوم 14 ... أليس هناك شيء يسمى القطار الأزرق .. ؟ وتناهت إلى أذنيّ " **ديريك** " الكلمات الأخيرة فقال في نفسه : "القطار الأزرق ويوم 14 أيضا .. ! يا لها من مصادفة عجيبة!" . وأدار رأسه

يتطلع إلى الفتاة ، وكاد أن يصعق .. «إنها هي بعينها : السيدة ذات العينين الرماديتين». وسرت في أوصاله رعدة خفيفة .. يا لمصادفات القدر العجيبة .. ! أول لقاء له بها كان في هذا الصباح نفسه حين اصطدم بها في مدخل فندق "**سافوي**" .. وها هو ذا يلتقي بها بعد ساعات في مكتب "**كوك**" .. !

وعاد إلى مسكنه بشارع "**جرين**" فارتمى على الأريكة وأمارات الشجن تعلو قسمات وجهه .. إنه غارق في الديون ، والدائنون يسدون عليه الطريق ، فماذا عساه أن يفعل إذا ما وقع الطلاق .. ؟ ورن الجرس ، وكان القادم هو الرائد "**كايتون**" سكرتير المليونير الأمريكي . وابتدره "**ديريك**" بقوله :

– لا شك في أن حماي العزيز أوفدك إليّ في مهمة دقيقة ، فما الذي وراءك..؟ وبدا على وجه السكرتير أنه يتخير عباراته . قال :

– لكم كنت أود لو أن السيد "**فان ألدن**" أوفد سواي . إنني مفوض يا سيدي من قبل السيد "**فان ألدن**" أن أعرض عليك عرضا نهائيا .

– حقا .. هذا أمر ظريف ! وأجاب الرائد "**كايتون**" :

– لقد أبلغك السيد "**فان ألدن**" أن ابنته سترفع دعوى طلاق ، فإذا سارت القضية في مجراها دون اعتراض منك ، فإنه يعدك بأن يدفع إليك مائة ألف يوم صدور الحكم النهائي بالطلاق . فقال "**ديريك**" في صوت حاد النبرات يفيض دهشة :

– يا إلهي ..! مائة ألف دولار ..

– بل مائة ألف جنيه . . وران صمت طويل ، وغرق "**ديريك**" في تفكير عميق . مائة ألف جنيه .. ! إنها إذن مسرات الحياة ، وعودة "**ميريل**" إليه ، والخلاص من الديون . وأخيرا رفع "**ديريك كيترنج**" رأسه وقال :

– وهبني رفضت هذا العرض السخي .. ؟ فبدا الارتباك على وجه الرائد "**كايتون**" وقال :

– إنني أشعر بحرج شديد يا سيدي في أن أنقل إليك رسالة السيد " **فان ألدن** " .
– بل أرجو أن تتكلم .. ما أنت إلا مجرد رسول .
– لقد طلب إليَّ أن أبلغك أنه في حالة الرفض سوف يحطمك ويسحقك سحقا .
وضحك " **ديريك** " في غير اكتراث وقال :
– إذن إليك جوابي ... قل للسيد " **فان ألدن** " إنني أرفض عرضه، وإن عليه أن يذهب إلى الجحيم .
– أهذا هو جوابك النهائي يا سيدي .. ؟
– نعم ... هذا هو ردي النهائي .. عليه اللعنة .

- 10 -

كانت السيدة " **كيترغ** " تتمشى على رصيف محطة " **فيكتوريا** " غارقة في خواطرها ، فاجفلت حين رأت أباها بجانبها يحييها ، فضحك " **فان ألدن** " وقال لها :
– ما بالك أجفلت .. ؟
– لم أتوقع أن أراك هنا .. إنك ودعتني بالأمس ، وقلت إن لديك لجنة هذا الصباح .
– هذا صحيح ، ولكنك أعز عندي من مئات اللجان . قالت :
– إنك ترهق نفسك بالعمل ، لِمَ لا تحضر إلى " **الريفييرا** " الشهر القادم لتقضي فترة من الاستجمام ؟
– هذا هو ما أفكر فيه فعلا . وصحبها إلى مقعدها في القطار ، حيث كانت وصيفتها في انتظارها . وانصرفت الوصيفة تنشد مقعدها ، وحين انطلقت صفارة القطار غادر الرجل المركبة ، ولوح لابنته مودعا . وتهالكت " **روث** " على مقعدها ..

لو أن أباها عرف ما هي مقدمة عليه فما عساه أن يقول .. لا شك في أن عقلها فيه لوثة من الجنون .. أتفعل هذا وهي ابنة " **فان ألدن** " أحد كبار الأغنياء في

"**أمريكا**" .. ؟ وتململت في مقعدها ، ورفعت عينيها إلى السيدة الجالسة أمامها . كانت امرأة إنجليزية ، وكانت لها عينان رماديتان صافيتان لم تر " **روث** " لهما مثيلا . وتناولت السيدة " **كيترنج** " مجلة مضت تتصفحها ، وإن كانت لاهية عما تجري به السطور ، أما " **كاترين جراي** " فتشاغلت بالنظر من النافذة .

وعادت دوامة الخواطر تعصف برأس " **روث** " ... أهي متهورة فيما تنتوي..؟ لكن لا .. لقد عاشت حياة زوجية قاحلة ، ومن حقها أن تقتنص كل فرص الهناء وليس لأحد أن يلومها . واختلست نظرة جانبية إلى ذات العينين الرماديتين وعادت تقول في نفسها: « لا شك في أنها بهاتين العينين الصافيتين قد نفذت إلى خبيئة نفسي .. بودي لو أنني كاشفتها بأمري ، فإنني أكاد أنفجر ».

انتهى بها القطار إلى " **كاليه**"، وانتقلت إلى القطار الأزرق حيث كانت قد حجزت مقصورتين متجاورتين لها ولوصيفتها ، بينهما باب يصلهما . ومضت "**روث** " إلى المائدة المخصصة لها في قاعة الطعام ، فإذا ذات العينين الرماديتين تشغل المقعد المواجه . وقالت السيدة " **كيترنج** " :

– إنها لمصادفة عجيبة ... نلتقي في قطار " **كاليه** " ، ثم نلتقي في القطار الأزرق . فأجابت " **كاترين** " باسمة :

– إن الأقدار تدبر المصادفات بطريقة عجيبة . وسألتها السيدة " **كيترنج** " :

– أسبق لك أن زرت " **الريفييرا** " .. ؟

– بل تلك أول زيارة لي .. وأنت .. ؟

– إنني عادة أقضي فيها شهري كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) .

واستطردت " **كاترين** " :

– لقد أمضيت حياتي في الريف ، أعمل رفيقة للمسنات من النساء ، ولا أكاد أملك ما أبتاع به حذاء . ولكن السيدة التي أمضيت في صحبتها العشر سنوات الأخيرة أوصت لي عند وفاتها بثروة كبيرة ، وإن بدت في نظرك شيئا تافها .

– ما الذي جعلك تظنين أن هذا هو رأيي .. ؟ فضحكت " **كاترين** " وأجابت:

– لا أدري ، لكن ما كاد بصري يقع عليك حتى خيل إليّ أنك من أغنى النساء.

– إنك في هذا على شيء من الصواب . ثم أردفت وقد اكتسى وجهها مسحة من الجد :

– هل لك أن تصارحيني بما دار في رأسك عني .. ؟ وبان التردد في وجه "**كاترين**" ، فقالت لها " **روث** " :

– أرجوك .. لا تترددي .. كاشفيني بكل شيء .. عندما التقينا في محطة "**فيكتوريا** " خامرني شعور مبهم بأنك نفذت إلى طواياي وتكشفت لك خبيئة نفسي .

– سأكاشفك إذن بما دار في نفسي ... عندما رأيتك دار في خلدي أنك في محنة ، وأنك تكابدين مأساة أليمة . فقالت " **روث**" على الفور :

– أصبت .. إنني في محنة شديدة ، وبودي لو أنني كشفت لك دخيلتي . فابتسمت " **كاترين** " برقة ووداعة وقالت :

– انفضي عن نفسك ما تعانين ، فلعل في الحديث ما يفرج كربك . وقالت "**روث** " :

– إن لم أتحدث فسوف أنهار . وصحبتها " **روث** " إلى مقصورتها ، وكان بها باب داخلي يفضي إلى المقصورة المجاورة حيث كانت تجلس وصيفتها وفي حجرها صندوق مجوهرات مطرزة فوق غطائه الحروف : " ر . ف . ك " أوصدت السيدة " **كيترج** " الباب الداخلي ، ثم أنشأت تتحدث في صوت خفيض . قالت :

– إنني في محنة ولا أدري ما ينبغي لي أن أصنع .. إنني متزوجة ، ولكن ثمة في حياتي رجل كان الحب قد اضطرم بيننا قبل الزواج ، ولكن أبي فرق بيننا في قسوة، غير أن الرماد عاد اليوم يشتعل. إن زوجي لا يحتمل ولا يطاق ، وله عشيقة يعيش معها .. وقالت " **كاترين** " تستحثها إلى الحديث :

– وبعد ..

– الشيء المؤلم أن ضميري يبكتني؛ لأنني خدعت أبي ، وأنا متعلقة به أشد

التعلق .. لقد أشار عليّ بأن أطلب الطلاق من زوجي ، وهو يعتقد أن القطيعة مازالت قائمة بيني وبين الرجل الآخر ولا يعرف أنني ذاهبة إلى لقائه..

– ولِمَ لا تتراجعين وتنكصين على عقبيك .. ؟

– وكيف أتراجع وقد اتفقنا على اللقاء .. ؟ أليس في هذا ما يحطم قلبه..؟

فقالت " **كاترين** " في لهجة حازمة :

– دعك من هذه الخزعبلات .. إن القلوب إذا تحطمت فما أهون أن يجبر كسرها.

– ولكنه سيعتقد أنني تخليت عنه بنذالة .

– وهذا الذي تفعلين .. أليس حماقة وطيشا ؟ ودفنت " **روث كيترج** " وجهها في راحتيها وغمغمت :

– لا أدري .. ! لا أدري .. وقالت لها " **كاترين** " بنبرة حانية رقيقة :

– تذرعي بالشجاعة والهدوء ، وابعثي إلى أبيك ببرقية من "**باريس**" يهرع إليك على الفور ، فيقف إلى جانبك ويثنيك عن الحماقة التي توشكين أن تتردي فيها.

وأشرق وجه الفتاة وهمست :

– يا لأبي المسكين .. ! إنني أحبه فكيف أقدم على خداعه .. ؟ وتناولت منديلها ومسحت عبراتها وقالت :

– شكرا لك .. لقد كنت مجنونة ..! ولكنني الآن حزمت رأيي واتخذت قرارا.

ونهضت " **كاترين جراي** " واقفة وهي تقول :

– والآن أرجو أن تأذني لي بالذهاب إلى مقصورتي . وخرجت إلى ممشى القطار في اللحظة نفسها التي مرت فيها الوصيفة من الباب المجاور . وتطلعت الوصيفة من فوق كتف " **كاترين** " وتجلت على محياها الدهشة. وأدارت " **كاترين** " رأسها إلى حيث كانت تنظر الوصيفة؛ لتتبين ما أثار دهشتها ، ولكنها لم تر في الطرقة أحدا ، فلا بد من أن مَنْ دهشت الوصيفة لرؤيته كان قد دخل إلى مقصورته – رجلا كان أو امرأة .

وأخيرا وصل القطار إلى "**باريس**" ، وحين توقف على رصيف " **ليون** " غادرت "**كاترين** " مقصورتها ، ونزلت تتمشى على الرصيف . ولمحت " **كاترين** " وصيفة رفيقة السفر المجهولة تبتاع لسيدتها سلة طعام للعشاء، فأدركت أن الفتاة آثرت أن تلزم غرفتها وألا تتناول طعامها في قاعة القطار، حتى تتحاشى لقاءها بعد أن فضحت نفسها أمامها .

تابع القطار مسيرته ، فذهبت " **كاترين** " إلى القاعة لتتناول عشاءها . وفي هذه المرة شاطرها المائدة رجل ضئيل الجسم، ضخم الشارب ، تنم سحنته عن أنه ليس إنجليزيًّا . وتطلع الرجل إلى القصة التي جاءت بها " **كاترين** " معها ووضعتها على المائدة أمامها وقال لها :

– يبدو أن الآنسة مغرمة بالروايات البوليسية .. ؟ فردت قائلة :

– إنني أوثرها على غيرها فإن أحداثها مثيرة تشد الأعصاب . فقال :

– إنك لعلى صواب يا آنسة . فأردفت :

– ومع ذلك فإننا نعرف جميعا أن هذه الأحداث مفتعلة لا تقع في الحياة الحقيقية.

– بل إنها تقع أحيانا يا آنسة .. إن الذي يتحدث إليك الآن يستطيع أن يؤكد لك أن بعض هذه الأحداث اتفقت له . فرمته " **كاترين** " بنظرة سريعة مستفسرة فاستطرد :

– فى يوم من الأيام ، وعلى غير المتوقع قد تجدين نفسك غارقة في غمار هذه الأحداث . فسألته باسمة :

– أهذه نبوءة منك .. ؟ فاجاب :

– ليس من عادتي أن أتنبأ يا آنسة، لكن ندر أن يجانبني الصواب فيما أبدي من آراء .

وفرغت " **كاترين** " من عشائها ، وفي طريقها إلى مقصورتها مرت بغرفة رفيقة السفر المجهولة ، فرأت بابهامفتوحا وملاحظ القطار يسوي فراشها وينسقه ، أما

السيدة نفسها فكانت مستندة إلى سياج النافذة ، مولية ظهرها ناحية الباب ، وهي متدثرة بمعطفها " المينك " المعهود . كما لمحت الباب الداخلي مفتوحا أيضا ، وقد تكدست الحقائب في مقصورة الوصيفة ، أما الوصيفة نفسها فلم تكن هناك .

وما إن بلغت " **كاترين** " مقصورتها حتى ارتمت على الفراش ، وما لبثت أن استغرقت في النوم .

❀❀❀❀❀

استيقظت " **كاترين** " من نومها على حين بغتة . جافاها النوم واستبد بها الأرق ، وأخذت تتقلب في فراشها متململة . وأخيرا زايلت سريرها ، وخرجت إلى ممشى القطار ، والقوم جميعا مستغرقون في النوم ، وأنزلت زجاج النافذة ووقفت عندها تستروح نسمات الليل المنعشة .

ثم خطر لها أن تنشد ملاحظ القطار، لتستفسر منه عن الوقت؛ إذ كانت ساعتها متوقفة ولكنها لم تجده في مقعده المعهود في نهاية المركبة ، وتابعت طريقها إلى العربة التالية ، ولدهشتها رأت رجلا واقفا عند المقصورة التي تشغلها رفيقة السفر ذات المعطف " المينك " ، ويده على مقبض الباب . ولبث مكانه لحظة أو لحظتين وظهره إلى ناحيتها ، وهيئته تنم عن التردد والإحجام . وتبينت فيه " **كاترين** " الرجل نفسه الذي التقت به مرتين من قبل ، مرة في مدخل فندق " **سافوي** " حين اصطدم بها ، ومرة أخرى في مكتب " **كوك** " للسياحة . ثم رأته يدير المقبض ويدخل إلى مقصورة صاحبة المعطف " المينك " ، ويغلق الباب وراءه .

والواقع أنها لم تكن على يقين بأن هذه هي مقصورة السيدة المجهولة – رفيقة السفر ، وصاحبة المعطف " المينك "– فإنه من المحتمل جدا أن تكون المقصورة المجاورة لها .

وتنازعت " **كاترين** " فكرة طارئة : أيكون هذا الرجل هو حبيبها الذي حدثتها عنه السيدة المجهولة .. ؟ أم أنها كانت مخطئة في تعرُّف المقصورة ، وأن الرجل إنما

دخل إلى مقصورته الخاصة المجاورة لغرفة ذات المعطف " المينك " ؟ ورجعت "**كاترين**" إلى مقصورتها ، ولم تكد تمضي دقائق حتى هدأ القطار من سرعته ، ثم توقف في محطة مدينة " **ليون** " .

- 11 -

استيقظت " **كاترين جراي** " في صباح اليوم التالي وقد غمرت الشمس الأرض بضيائها ، وحين رجعت إلى مقصورتها بعد أن تناولت فطورها وجدت ملاحظ القطار منهمكا في تنسيق فراشها ، وقال لها :

– يبدو أننا متأخرون قليلا يا سيدتي . وجلست إلى جانب النافذة تتأمل المشاهد الرائعة التي يمر بها القطار . وعجبت كيف لم تلتق في قاعة الطعام بالسيدة المجهولة ذات المعطف " المينك " . وعاد إليها الملاحظ بعد فترة من الوقت ليخطرها بأن القطار يوشك أن يصل إلى " **نيس** " . وفطنت " **كاترين** " إلى أن الرجل كان يبدو مرتبكا مصفر الوجه وكان يتأملها بنظرات غريبة . وبلغ القطار " **نيس** " ، وهبطت " **كاترين** " إلى الرصيف ورأت رجلا يتقدم إليها ويسألها :

– إنك الآنسة " **جراي** " فيما أعتقد .. ؟ فلما أومأت إيجابا استطرد يقول :

– إنني " **تشوبي** " زوج الليدي "**تامبلين**" .. أتسمحين لي ببطاقة الحقائب؛ حتى أنهي عنك الإجراءات الجمركية ؟ وناولته البطاقة شاكرة ، ومشت إلى جانبه . وتناهى إليها صوت مهذب يتوجه إليها بالحديث :

– لحظة واحدة يا سيدتي إذا سمحت . واستدارت " **كاترين** " تتطلع إلى محدثها، فألفته شرطيًّا في زيه الرسمي . واستطرد الشرطي :

– معذرة يا سيدتي، ولكن ثمة بعض إجراءات لا بد من اتخاذها ، فهل لك أن تصحبيني إلى مركز الشرطة .. ؟ وتدخل " **تشوبي** " في الحديث حانقا . قال :

– ما معنى هذا ؟ لكن يبدو أنه لا مفر من الإذعان يا آنسة " **جراي** " . ومضى

بها الرجل إلى مقصورة في إحدى المركبات حيث وجدت ضابطا بزيه الرسمي . وسألها الضابط :

– هل تتكلمين الفرنسية يا سيدتي .. ؟ فأجابت :

– إلى حد كاف فيما أعتقد .

– هذا يهون الأمر فلسنا إذن نحتاج إلى مترجم .. إنني السيد " **كوكس** " مدير الشرطة ، وقد دعوتك لأستقي منك بعض المعلومات عن السيدة التي كانت رفيقتك في أثناء الرحلة .. أعني السيدة التي شاطرتك بالأمس مائدة الغداء . فأجابت :

– إنني لا أعرف شيئا عنها .. لقد تصادف أن جلسنا معا إلى مائدة الغداء فتبادلنا حديثا عابرا . فقال مدير الشرطة في صوت حاد النبرات :

– و مع ذلك صحبتها إلى مقصورتها بعد الغداء وجلستما تتبادلان الحديث .

– هذا صحيح يا سيدي .

– إذن هل لك أن تعطيني فكرة عن فحوى الحديث الذي دار بينكما .. ؟

– ولكنني لا أرى سببا يدعو إلى مصارحتك . وتأملها مدير الشرطة بنظرة فاحصة وقال :

– السبب في غاية الوضوح .. السيدة التي نتحدث عنها وجدت ميتة في مقصورتها هذا الصباح ... مقتولة . فصرخت " **كاترين** " :

– وجدت مقتولة .. ! يا إلهي .. !

– أرأيت إذن يا سيدتي أن ثمة سببا قويا يحملني على الإصرار على معرفة ما دار بينكما من حديث .

– لكن كيف تقتل ووصيفتها في المقصورة المجاورة؟ وبعد سكتة قصيرة قال مدير الشرطة:

– لقد أبلغنا ملاحظ القطار أنه رآك تصحبينها إلى مقصورتها ، فاستدعيناك للإدلاء بمعلوماتك . وأجابت " **كاترين** " :

– إنني لا أعرف حتى اسمها ! وفي هذه اللحظة قرع باب مقصورة القطار ، فوارب السيد " **كوكس** " الباب قليلا وقال في غلظة وجفاء :

– لا أريد أن يزعجني أحد الآن . وقال الرجل الواقف بالباب :

– إنني يا سيدي أدعى " **هيركيول بوارو** " . وهتف مدير الشرطة الفرنسي في كلمات متعثرة :

– " **هيركيول بوارو** " .. ؟ الشرطي الشهير .. ؟

– هو بعينه يا سيدي .. وإني أذكر يا سيد " **كوكس** " أننا التقينا مرة في إدارة الأمن العام في "**باريس**" ، وأغلب ظني أنك نسيتني الآن لطول العهد . فهتف مدير الشرطة :

– كلا يا سيدي .. كلا .. تفضل. ودخل " **بوارو** " قائلا :

– لقد جئت لأنني أرجو أن أكون ذا نفع في جلاء بعض غوامض هذه القضية.

– إنه ليسعدني يا سيدي أن تتعاون معي . وألقى " **بوارو** " بابتسامة مرحة إلى " **كاترين** " وهو يقول :

– أليس غريبا أن تصدق نبوءتي بمثل هذه السرعة .. ؟ ألم أقل لك إنك قد تجدين نفسك بغتة غارقة في إحدى المغامرات أو الجرائم . وقالت "**كاترين**" :

– لقد ذكرت لمدير الشرطة أن هذه المرأة غريبة عني وأنني لا أعرف حتى اسمها . فأومأ " **بوارو** " برأسه مؤمنا وقال في دماثة :

– ولكنها تحدثت إليك طويلا حتى ليخيل إلى المرء أن بينكما صلة وثيقة . فانبرى مدير الشرطة الفرنسي متدخلا في الحديث :

– إذن حدثينا عن انطباعاتك عنها يا آنسة . وهكذا انطلقت " **كاترين** " تسرد على المحقق ما دار بينهما كلمة كلمة . فلما أتت على قصتها تطلع المدير إلى "**بوارو**" قائلا :

– إنها لقصة مسلية .. قصة طريفة .. ! لكن هل لها شأن يا ترى بالجريمة التي نحن بصددها .. ؟ فقاطعته " **كاترين** " في شيء من التشكك :

– ولمَ لا تكون قد انتحرت .. ؟

– لقد خنقت بقطعة من حبل أسود اللون . فتأوهت " **كاترين** " في ذعر وهلع، وران الصمت برهة ثم قال مدير الشرطة :

– هلاّ تفضلت بمرافقتي إلى مقصورة الضحية .. قد تكون هذه الزيارة مزعجة لك ولكنها ضرورية . وغمغمت " **كاترين** " وهي تهم واقفة :

– إيه .. ما دمت ترى الأمر ضروريا .. وقال مدير الشرطة مخاطبا " **بوارو** " :

– إنه ليسعدني أن تصحبنا يا سيد " **بوارو** " . كانت القتيلة مسجاة فوق الفراش ، والأغطية منشورة فوقها ، ووجهها متجه إلى الجدار لا يتبين منه إلا خصلات شعرها المتناثرة المتهدلة . ألقى السيد " **كوكس** " يده برفق فوق كتف القتيلة ، وأدار جسدها حتى أصبح وجهها في مجال الرؤية ، واختلجت عينا " **كاترين** " ، وسرت في أوصالها رجفة ، فقد كان وجه القتيلة مشوها إثر ضربة تلقتها ، حتى كاد يستحيل التعرف إلى شخصيتها . وتساءل " **بوارو** " :

– ترى أحدث هذا قبل موتها أم بعده .. ؟ وأجابه " **كوكس** " :

– بل بعد الموت .. طبقا لما قرره الطبيب . وزوى "**بوارو**" ما بين حاجبيه وقال :

– هذا غريب .. ! ثم تحول إلى " **كاترين** " وسألها :

– تأملي وجه الضحية .. أمتأكدة أنت أن هذه هي المرأة التي تحدثت إليها بالأمس في القطار .. ؟ وتحولت " **كاترين** " إلى الجثة تتأمل الوجه المشوه في شجاعة فذة ، ثم أمسكت بيد القتيلة تتطلع إليها . وأخيرا رفعت رأسها وأجابت :

– إنني موقنة أنها بعينها .. إن الوجه مشوه إلى درجة يتعذر معها تعرفه، ولكن قوامها وشعرها وقامتها أشياء لا يمكن أن ينخدع فيها المرء . ثم أردفت :

– وفضلا على هذا فقد لاحظت هذه الشامة وأنا أتحدث إليها . وأشارت إلى شامة صغيرة في رسغ المرأة القتيلة . فأومأ " **بوارو** " برأسه في إعجاب قائلا :

– الحق أنك شاهدة رائعة يا آنسة . ثم أردف :

– إذن فلا شبهة في شخصية القتيلة . ومع ذلك فالأمر يبدو – عندي – عجيبا . وعقَّب " **كوكس** " :

– لا بد من أن القاتل كان فريسة لغضب جامح . وقال "**بوارو**" :

– لقد فاجأها القاتل من الخلف ، ولف عنقها بالحبل ، وخنقها .. هذا هو ما حدث ، فلماذا ينزل على وجهها بهذه الضربة التي شوهته .. ؟ لِمَ فعل ذلك..؟ هل أراد ألا يتعرف أحد إلى شخصيتها .. أم أنه كان فريسة حقد طاغ؟

ودار " **بوارو** " بعينيه في أرجاء المقصورة . كانت ملابس القتيلة مطوية في عناية وموضوعة على أحد المقاعد ، وكان المعطف الفرو معلقا على المشجب . ثم مضى إلى المقصورة الداخلية الخاصة بالوصيفة . لم يكن الفراش في المقصورة المجاورة منسقا ، وكانت على المقعد ثلاث أو أربع سجاجيد مكومة بغير ترتيب ، كما كانت بجانبه بضع حقائب وعلبة للقبعات. وتحول "**بوارو**" فجأة إلى "**كاترين**" يسألها :

– إنك كنت هنا ليلة الأمس ، فهل تلاحظين أي تغيير .. ؟ هل هناك شيء مفقود .. ؟ وتفحصت " **كاترين** " محتويات المقصورتين ثم قالت :

– نعم .. ثمة شيء ناقص .. علبة من جلد التمساح ، حمراء اللون ، مطرزة بهذه الحروف الأولى من الأسماء : " ر. ف. ك " ، ولعلها علبة مجوهرات أو علبة لأدوات التجميل . وسألها " **بوارو** " :

– ومتى رأيت هذه العلبة .. ؟

– كانت الوصيفة ممسكة بها عندما صحبتني السيدة إلى مقصورتها . وإذا كانت الوصيفة والعلبة قد اختفتا فالسبب بيِّن وواضح ، أي أنها السارقة . فقال السيد "**كوكس** " معترضا :

– لقد غادرت الوصيفة القطار في "**باريس**" قبل الجريمة، وسأدعو الآن ملاحظ القطار ليسمعكما القصة بنفسه .

وكان " **بوارو** " لايزال منهمكا في فحص المقصورة المجاورة الملحقة ، وتناول

إحدى السجاجيد ، وأخذ يفحصها بعناية ، ثم التقط شيئا كان عالقا بها ، فسأله " **كوكس** " باهتمام :

– ما هذا .. ؟

– أربع شعرات بنية اللون .. واقترب من الجثة يضاهي الشعرات ، ثم قال :

– التشابه واضح .. إنها من شعر السيدة. ورجعوا إلى المقصورة الكبيرة واستدعى المدير " **كوكس** " ملاحظ القطار لاستجوابه . وقال له السيد "**كوكس**" :

– إنك تدعى " **بيير ميشيل** " .. ؟

– نعم يا سيدي . أومأ " **كوكس** " إلى " **بوارو** " قائلا :

– أرجوك أن تعيد على مسامع هذا السيد القصة التي رويتها لي عما حدث في "**باريس**" .

– حسنا يا سيدي .. عندما غادر القطار محطة " **ليون** " جئت لأنظم الفراش ظنًّا مني أن السيدة في قاعة الطعام تتناول عشاءها، لكني وجدتها جالسة في المقصورة ومعها سلة طعام اشترتها فيما يبدو من محطة " **ليون** " ، وقالت لي إنها اضطرت إلى أن تنزل وصيفتها في "**باريس**" ، فيكفي أن أنظم فراش مقصورتها هي دون فراش المقصورة الصغيرة الإضافية الخاصة بالوصيفة . واستطرد ملاحظ القطار يروي الأحداث التي مرت به :

– تناولت السيدة سلة الطعام وانتقلت بها إلى المقصورة الصغيرة الإضافية ، وتركتني في المقصورة الكبيرة أنسق الفراش ، ثم طلبت مني ألا أوقظها مبكرة في الصباح ، وأن أدعها مستغرقة في النوم . وسأله المدير :

– ألم تدخل إلى المقصورة الصغيرة .. ؟

– كلا يا سيدي .

– إذن فلم تلاحظ إن كانت في المقصورة الصغيرة مع الحقائب علبة مجوهرات حمراء اللون .

– كلا يا سيدي .. لم ألاحظ شيئا من هذا . وتساءل " **بوارو** " :

– أكان من الممكن أن يختبئ أحد في المقصورة الصغيرة دون أن تفطن أنت إلى وجوده .. ؟ وتريث الملاحظ برهة مفكرا ثم قال :

– كان باب المقصورة مواربا ، فلو أن أحدا وقف وراءه لما فطنت إلى وجوده ، أما السيدة فكانت لابد من أن تراه بسهولة عند دخولها إلى المقصورة .

– حسنا .. حدثنا إذن عما جرى هذا الصباح .

– لقد أمرتني السيدة ألا أوقظها ، فتركتها نائمة ولكني طرقت بابها قبل وصولنا إلى مدينة " **كان** " فلما لم أتلق جوابا فتحته ودخلت ، وكانت السيدة مستلقية على الفراش ، فلمست كتفها لأوقظها ، وعندئذ أدركت الحقيقة . وإذ انصرف ملاحظ القطار قال مدير الشرطة :

– طبقا للتقرير الطبي فإن السيدة قتلت قبل الوصول إلى " **ليون** " ، فمن هو القاتل إذن .. ؟ يتبين من أقوال الآنسة " **كاترين** " أن السيدة كانت ستلتقي بصديقها في إحدى مراحل الرحلة ، وتصرفها بالتخلص من وصيفتها وإنزالها في "**باريس**" يدعم هذه الشهادة .. فهل صعد صاحبها إلى القطار في "**باريس**" ..؟ وهل أخفته في المقصورة الداخلية .. فما يدرينا أنهما تشاحنا في أثناء الرحلة ، ولعله فتك بها في نوبة من نوبات الغضب . وتريث المدير " **كوكس** " برهة ، ثم قال :

– أما الافتراض الثاني ، وهو الأدنى إلى تفكيري ، فهو أن القاتل واحد من لصوص القطارات .. تسلل إلى الممشى فاقتحم المقصورة ، وقتل السيدة ، واستولى على علبة الجوهرات الحمراء ، ثم غادر القطار في مدينة "**ليون**" . فقال " **بوارو** :

– وما يدريك لعله واصل رحلته.

– هذا محتمل أيضا ، ولو فعل ذلك لكان تصرفه ينطوي على الجرأة . ومرت دقيقتان لاذ " **بوارو** " في خلالهما بالصمت ، ثم قال :

– إذن فأنت تعتقد أن القاتل أحد لصوص القطارات .. ؟ فهز مدير الشرطة

الفرنسي كتفيه وقال :

– هذا مجرد احتمال غير قاطع ... يجب قبل كل شيء أن نعثر على الوصيفة ، فإن من المحتمل أن تكون علبة المجوهرات معها ولم تسرق ، فإذا كان الأمر كذلك كان المتورط في الجريمة هو صديق السيدة وبالتالي ستصير جريمة عاطفية دون شك . وتطلع " **بوارو** " فجأة إلى " **كاترين** " وسألها :

– أما رأيت أو سمعت شيئا في أثناء الليل استرعى اهتمامك .. ؟ فأجابت :

– لا شيء إطلاقا يا سيدي . وقال لها المدير :

– أرجو أن تزودينا بعنوانك . وقال لها " **بوارو** " وهو يشيعها إلى باب المقصورة :

– اسمحي لي يا آنسة بمقابلتك مرة أخرى ... فأجابت باسمة في رقة :

– يسعدني أن ألقاك في كل وقت . فقال لها " **بوارو** " ضاحكا :

– إنها مغامرة بوليسية مثيرة ، وسأشركك فيها .

- 12 -

قالت الليدي "**تامبلين**" في دهشة :

– إذن فقد كنت غارقة في خضم المغامرة المثيرة .. ؟ وقال زوجها السيد "**تشوبي** " مؤمنا :

– إذن فهي جريمة قتل حقيقية .. ! استرسلت الليدي "**تامبلين**" في حماس :

– يجب أن نستغل الموقف ونستفيد منه إلى أقصى حد . كانوا جلوسا إلى مائدة الغداء ، فتطلعت " **كاترين** " إلى الأشخاص الثلاثة الذين يدورون بالمائدة ، وجعلت تنقل نظراتها بينهم في حيرة . وقالت الليدي "**تامبلين**" تفسر ما رمت إليه :

– نعم .. يجب أن نفعل شيئا .. مثلا نكتب مقالاً يتضمن تفاصيل الحادث

طبقا لما رأيته بنفسك ، ونتقاضى عنه أجرا ضخما . فأجابت " **كاترين** " في صراحة حاسمة :

– ليس في نيتي أبدا أن أفعل شيئا من هذا القبيل .

– ولمَ لا . . ؟ إننا بهذا يمكن أن نكسب مالا . واسترسلت تستجوبها في لباقة :

– قلت إنها سيدة أنيقة ، ولديها معطف فاخر من فراء " المينك " .. لابد من أنها سيدة ثرية . ترى من تكون ؟ ألم تسمعي اسمها ؟

– لقد تردد اسمها أمامي ولكني لا أذكره . ولم يكن في نية " **كاترين** " أن تخطر الليدي "**تامبلين**" بالاسم حتى لو كانت تذكره . وكانت ابنتها " **لينوكس**" تدرك أن " **كاترين** " لا تنوي أن تبوح بما تعلم .

وأرادت " **لينوكس** " أن تنقذ " **كاترين** " من هذا الموقف فأخذت بذراعها ، وصعدت بها إلى الطابق العلوي . وما إن احتوتهما غرفة المخدع حتى ابتدرت "**لينوكس** " ضيفتها بقولها :

– لا تحفلي بمحاولات أمي معك ، فإنه لا همَّ لها إلا أن تكسب المال بأية وسيلة تخطر بالبال . وتركت " **كاترين** " في مخدعها تنسق حاجاتها وتبدل ثيابها ، وهبطت إلى الطابق الأرضي ، فوجدت أمها وزوجها مازالا يتداولان في أمر "**كاترين**" . فقالت الأم :

– إن قوامها رشيق وثيابها أنيقة . وقال السيد " **تشوبي** " :

– هل لاحظت عينيها . . ؟عينان رماديتان نجلاوان لا نظير لهما .

– إننا نبحث الآن ما هو أهم من عينيها. فقال زوجها مؤمنا :

– تماما . . تماما . وقالت الليدي "**تامبلين**" :

– إنها تبدو رائعة ويمكن أن تقتحم أرقى البيئات الاجتماعية . فانبرت "**لينوكس** " تقول :

– إن لها جميع الصفات التي تؤهلها لكي تكون سيدة مجتمع راق. فقالت

الأم :

– لكنها ضيقة الفكر .. وهذا أمر طبيعي مفهوم ، فقد ترعرعت في بيئة مغلقة. فأطلقت "**لينوكس**" ضحكة ساخرة وقالت :

– إنني أعرف أسلوبك يا أماه ، إنك ما أتيت بها إلى هنا إلا لتشاركيها ثروتها بطريقة ما . فقالت الأم وقد ازداد وجهها تقطيبا :

– يا لك من فتاة جافية الذوق تقذفين بالكلمات كأنها أكداس من الحجارة! أتراك نسيت أنها ابنة عمي .. ؟

– ابنة عمك .. ولِمَ لم تذكري أواصر القرابة إلا عندما هبطت عليها الثروة...؟ وصعدت " **لينوكس** " مرة أخرى إلى مخدع "**كاترين**" وقالت تسألها:

– أتريدين مني أن أساعدك .. ؟ وشكرتها " **كاترين** " فاستوت " **لينوكس** " جالسة على حافة الفراش وقالت متسائلة :

– ما الذي جاء بك إلى بيتنا يا " **كاترين** " ..؟ فأجابت :

– إنني أحب أن أختلط بالمجتمعات الراقية .

– دعك من البلاهة فأنت لست بالفتاة الغبية ... إنك تدركين أن ثيابك لا تلائم المجتمعات الراقية .

– إن في وسعي أن أشتري سواها . ومضت الفتاتان تتبادلان الحديث – برهة من الوقت – عن الأزياء الحديثة والثياب الملائمة . وفجأة قالت " **لينوكس** " :

– اسمعي يا " **كاترين** " ... إنني أشعر نحوك بالكثير من الميل ، وقد جئت الآن لأحذرك ... إن أمي مولعة باستغلال الناس ، وهي تنوي أن تستغلك إلى أقصى حد ، فكوني على حذر . وتطلعت إليها "**كاترين**" في دهشة، واستطردت الفتاة :

– إنك سليمة الطوية، صافية النفس وستحاول أمي أن تستدرجك إلى فخاخها ، ولكنك لست بالغبية البلهاء فكوني على حذر . فقالت "**كاترين**" :

– ولكني لا أراها فعلت شيئا .

– ألم تدركي أنها حاولت أن تستدرجك لتعرف منك قصة جريمة القطار الأزرق؛ حتى تذهب بها إلى إحدى الصحف وتكسب من ورائك حفنة من المال. وتعالى صوت الليدي "**تامبلين**" من البهو قائلا :

– " **لينوكس** " ... لقد اتصل " **ديريك** " بي الآن ... إنه يريد أن يحضر الليلة ليشاركنا العشاء فما رأيك .. ؟ فردت عليها " **لينوكس** " :

– فليحضر إن شاء . ثم تحولت إلى " **كاترين** " وقالت ووجهها يتألق بشرا :

– إن حضوره يسعدني ، وسوف يروق في عينيك .

– و من يكون " **ديريك** " هذا .. ؟

– إنه ابن اللورد "**ليكنبوري** " ، المتزوج بأمريكية ثرية وهو وسيم الوجه حلو الحديث .

– وهل أنت مفتونة به .. ؟

– إلى حد ما في بعض الأحيان . وبعد لحظات من الصمت عادت " **لينوكس** " تواصل حديثها :

– إن جميع أسرة " **ديريك** " مغامرون ومقامرون . وفي القرون الوسطى كانوا يقامرون حتى على زوجاتهم وضياعهم ، ويقومون بمغامرات جريئة ، و"**ديريك** " نفسه يقدم على أعمال غاية في الجسارة، لأن روح المغامرة التي ورثها عن أجداده تسري في دمه . إنه يصلح لأن يكون قاطع طريق أو رئيس عصابة .

وحين خلت " **كاترين** " إلى نفسها استغرقها التفكير ومضت تفكر في حادث القطار . ترى ما هو القرار الذي اتخذته " **روث** " قبل مقتلها .. ؟ لقد صارحت " **كاترين** " بعد أن أسدت إليها النصح بأنها استقرت على قرار معين ، ولكنها لم تفصح عن فحواه ، فهل كانت تنوي أن تعود إلى زوجها وتتخلى عن فكرة الطلاق .. ؟ أم كانت على العكس قد استقرت على أن تطلب الطلاق وتتزوج حبيبها .. ؟ وفجأة تذكرت " **كاترين** " شيئا غاب عن ذهنها فلم تذكره للشرطة. لقد تذكرت فجأة أنها رأت رجلا يدخل مقصورة المرأة التي قتلت . لكن أليس

محتملا أن تكون مخطئة .. ؟ ألا يجوز أنه دخل المقصورة المجاورة لا مقصورة القتيلة .. ؟

ومهما يكن فإنها تعرف هذا الرجل .. لقد التقت به مرتين مصادفة : مرة في فندق " **سافوي** " عندما كادت تصطدم به عند الباب ، ومرة أخرى في مكتب " **كوك**" للسياحة .. ولكنه كان يبدو دائما رجلا مهذبا رقيقا ، ويستحيل أن يكون مثله قاتلا أو لص مجوهرات .. !

وبعد لحظات لحقت بأفراد الأسرة في الشرفة المطلة على مياه البحر ، تتأمل المياه الصافية الساكنة وتصغي في الوقت ذاته إلى ثرثرة الليدي "**تامبلين**" وتفاهاتها .

*****

في ذلك المساء ارتدت " **كاترين** " ثوب سهرة قرمزي ، فأضفى عليها جمالا خلابًا ، وحين خطت إلى قاعة الاستقبال الغاصة بالضيوف ، انتهبتها الأبصار، تحدق إليها بدهشة ، فانتابها شعور بالارتباك . وبادر إليها "**تشوبي**" يحمل إليها قدحا من الكوكتيل ، ثم تأبط ذراعها ومضى بها إلى الجمع المحتشد . وفتح باب القاعة ودخل أحد الضيوف فهتفت الليدي "**تامبلين**" :

– آه .. أهذا أنت يا " **ديريك** " .. ؟ لقد كنا في انتظارك؛ لنشرع في تناول العشاء ، فهيا بنا الآن إلى قاعة الطعام .

وتطلعت " **كاترين** " إلى القادم الجديد ، وأجفلت .

إذن فهذا هو " **ديريك** " الذي حدثتها عنه " **لينوكس** " . إنه الرجل نفسه الذي التقت به عند باب فندق " **سافوي** " ، ثم في مكتب "**كوك**" للسياحة، وها هي ذي تلتقي به في قصر الليدي "**تامبلين**" . وهو أيضا عرفها على الفور، فقد تسمّر في مكانه وألقى عليها نظرة طويلة، ثم تابع طريقه إلى الليدي "**تامبلين**" . وفي قاعة المائدة وجدته جالسا إلى جوارها . قال لها يحدثها :

– إنك تعرفين أننا التقينا في فندق " **سافوي** " ، ثم في مكتب " **كوك** " ، فلا

تحاولي أن تزعمي أننا لم نلتق قط . فأجابته " **كاترين** " :

– ولِمَ أنكر .. ؟ لكن ليست هذه ثالث مرة نلتقي فيها .. إنها المرة الرابعة... لقد رأيتك في القطار الأزرق . فقال مرددا :

– القطار الأزرق .. ! وبدت في صوته نبرة متوترة ، بيد أنه ما لبث أن قال في غير اكتراث :

– أعتقد أن حادثا وقع في القطار في ذلك اليوم .. ؟ فأجابته " **كاترين** " متمهلة :

– نعم ... لقد مات أحد الأشخاص . فاستطرد " **ديريك** " في بساطة :

– ليس من الملائم أن يموت المرء في أثناء السفر ، فإن الإجراءات الدولية معقدة.

وكانت تجلس في مواجهته عبر المائدة سيدة أمريكية بدينه ، فمالت تقول له – بما هو معروف عن الأمريكيين من الفضول والبساطة :

– إنني أعتقد أنك نسيتني يا سيد " **كيترنج** " .. ؟ وتحول إليها " **ديريك** " ، في حين حملقت إليه " **كاترين** " .

" **كيترنج** " .. ! طبعا هذا هو الاسم .. ! إنها تذكره الآن دون شك ... أليس هذا من تصاريف القدر العجيبة .. ! إنه بعينه الرجل الذي رأته يدخل مقصورة "**روث كيترنج**" فقد ذكر أمامها مدير الشرطة أن القتيلة تدعى السيدة " **كيترنج**" ، وتصرفاته توحي بأنه لا يعرف أن زوجته قد قتلت ، ها هو ذا جالس بجانبها على مائدة الطعام ، وهو لايزال يجهل مصير زوجته .

وأقبل في هذه اللحظة أحد الخدم يحمل إليه رقعة مطوية ، فتناولها منه واستأذن في قراءتها ، ثم تبدت في أسارير وجهه دهشة عميقة ، ثم غمغم يقول :

– هذا أمر عجيب .. ! عجيب جدا .. ! ثم التفت إلى ربة الدار قائلا :

– أخشى يا " **روزالي**" أن أكون مضطرا إلى الانصراف . إن مدير الشرطة يريد مني أن أوافيه في الحال . ثم أطلق ضحكة مرحة وقال :

– مما يؤسف له أن يحرمني هذا الأحمق من الطعام الجيد والشراب الطيب .

- 13 -

بعد ظهر الخامس عشر من شهر كانون الثاني (يناير) كان المليونير " **رافيوس فان ألدن**" في جناحه في فندق " **سافوي** " وسكرتيره " **كايتون** " يلقي إليه بكلمةعابرة تتصل بالعمل ، وإن بدا له أن المليونير شارد الفكر لا يفقه ما يقول. ورفع "**رافيوس**" رأسه وقال في شيء من الشرود .

– هل لك أن تعيد عليّ ما قلت مرة أخرى .. ؟ واستطرد المليونير:

– أرجو أن تعيد عليّ ما سبق لك أن ذكرته عن رؤيتك وصيفة " **روث** " في "**باريس**" في الليلة الماضية.. لا شك في أنك أخطأت وخدعك نظرك. فأجاب السكرتير :

– لم أخطئ يا سيدي، فقد تحدثت إليها .

– تحدثت إليها .. ؟ إذن أعد عليّ القصة كلها .

– بعد أن فرغت من مقابلة " **بارثيمرز** " عدت إلى فندق "**ريتز**"؛ لأعد حقيبتي وأتناول عشائي على أن ألحق بقطار التاسعة مساء . وفي الاستعلامات رأيت وصيفة السيدة " **كيترنج** " ، فمضيت إليها وسألتها عما إذا كانت السيدة مقيمة في الفندق نفسه. فقاطعه " **فان ألدن** " :

– وبالتأكيد أجابتك بأن السيدة سافرت إلى "**الريفييرا**" ، وأنها بعثت بها إلى فندق " **ريتز**" لتنتظر تعليماتها ...

– تماما يا سيدي ... كان هذا هو ردها فعلا . فردد " **فان ألدن** " :

– هذا عجيب ... عجيب جدا ... إلا إذا كانت الوصيفة كاذبة أو مفترية.

– الحق أني لا أدري ... كان المفروض أن تمنحها السيدة " **كيترنج** " قدرا من المال وتبعث بها إلى "**انجلترا**" ، لا أن تطلب منهاأن تنتظرها في "**باريس**" .

لِمَ فعلت ابنته ذلك .. ؟ لِمَ أقصت وصيفتها وأبعدتها .. ؟ هناك سر خفي يكمن وراء هذا .. ؟ لا بد من أن ابنته كانت تنوي لقاء هذا الأفّاق " **أرماند دي لاروش**" ..! نعم .. ذلك هو السر الخفي ، فاقصت وصيفتها حتى لا تفضح

فعلتها . وتحول إلى سكرتيره قائلا :

– إن من طباع ابنتي السيئة أنها تغير رأيها ما بين لحظة وأخرى دون سبب جدي. لكن ألم تذكر لك الوصيفة سببا لما حدث..؟

– لقد ذكرت لي أن السيدة " **كيترنج** " التقت بصديق لها .

– حقا .. ؟ أهذا ما قالته .. ؟ إذن فقد تحققت مخاوفه ، فهذا الصديق لا يمكن أن يكون إلا هذا المدعو الكونت "**دي لاروش** " . وألفى نفسه عاجزا عن مغالبة مشاعره فانفجر يقول :

– إنه لمن أشق الأمور على الإنسان أن يجعل المرأة تستجيب للنصح والإرشاد... إنها دائما تندفع في طيش وتهور وراء غريزتها . ودخل أحد خدم الفندق يحمل إليه برقية . وما إن فض " **فان ألدن**" البرقية وقرأها حتى ترنح قليلا وتشبث بمسند المقعد وقد امتقع وجهه . وسأله سكرتيره :

– ما الذي دهاك يا سيدي .. ؟ وهب السكرتير " **كايتون**" منزعجا وأقبل على مخدومه . وغمغم هذا في صوت مضطرب :

– إنها " **روث** " ... لقد قتلت .

– أوقع للقطار حادث .. ؟ هل خرج عن القضبان ؟ وهز " **فان ألدن** " رأسه سلبا وقال :

– كلا ... لقد فهمت من البرقية أن جواهرها سرقت وقتلت ... ويلاه .. ابنتي العزيزة ماتت .. قتلت . وغمغم " **كايتون** " ببعض كلمات العزاء والتسرية . واستطرد " **فان ألدن**" :

– هذه البرقية من شرطة " **نيس** " يجب أن أسافر في أول قطار . وتطلع "**كايتون** " إلى الساعة وقال :

– يمكنك يا سيدي أن تلحق بقطار الخامسة .

– تماما ... وسوف تصحبني يا " **كايتون** " . ورن جرس التليفون ، وتناول السكرتير السماعة . كان المتحدث هو السيد "**جوبي** " . قال " **فان ألدن** " :

– فليصعدوا به . واستعاد " **فان ألدن** " رباطة جأشه ، وقال يخاطب زائره :

– إنني على عجل من أمري يا " **جوبي** " ، فهات ما عندك وعجِّل به . فأجاب الرجل :

– لقد أمرتني أن أتعقب خطوات السيدة " **كيترنج** " ... لقد سافرت صباح الأمس من " **لندن** " إلى " **الريفييرا** " . وسأله " **فان ألدن** " :

– وما هو القطار الذي استقلته .. ؟ أجاب :

– القطار الأزرق يا سيدي . وصمت السيد " **جوبي** " برهة ، ثم أردف وهو يتنحنح :

– وفي القطار نفسه سافرت أيضا الآنسة "**ميريل**" الراقصة الشهيرة في ملهى "**بارثينون** " .

- 14 -

كان في قاعة التحقيق بخلاف القاضي رجل ثالث بادر مفتش الشرطة بتقديمه إلى الزائر بقوله :

– هذا يا سيد " **فان ألدن** " هو السيد " **هيركيول بوارو** " الشرطي السري الشهير . وقال السيد " **فان ألدن** " مرحِّبا :

– إن شهرته تطبق الآفاق . واستطرد مفتش الشرطة :

– كان السيد " **بوارو** " في القطار الأزرق عند وقوع الحادث ، وقد تطوع للمساهمة معنا في كشف غوامض هذه الجريمة . وتحول " **فان ألدن** " إلى الشرطي البلجيكي قائلا :

– إنني غني جدا يا سيد "**بوارو**" ، فهل أستطيع أن أطلب خدمة منك ؟

– إني أضع نفسي رهن إشارتك يا سيدي .

– أريد منك يا سيد " **بوارو** " أن تكتشف القاتل . وقال قاضي التحقيق السيد

" **كاريدج** " :

– و الآن فلنشرع في العمل بأن نبدأ باستجواب الوصيفة " **آدي ميسون** " ، فقد بلغني يا سيد " **فان ألدن** " أنك اهتديت إلى مكانها وأنك صحبتها معك إلى هنا. فأجاب المليونير :

– هذا صحيح ، فقد التقينا بها مصادفة ونحن نمر بـ"**باريس**" . واستُدعيت "**آدي ميسون**" وسُئلت عن اسمها فأجابت بأنها تدعى :

– " **آدي بياتريس ميسون** " . واستطرد القاضي يسألها :

– إنني لم أفهم السر في بقائك في "**باريس**" بعد أن عدلت سيدتك عن اصطحابك معها؛ إذ كان المفترض أن تعودي إلى " **لندن** " . وأجابت الوصيفة :

– كان مفروضا يا سيدي أن نمضي مباشرة إلى " **نيس** " .

– هل رافقت سيدتك في الخارج قبل هذه المرة .. ؟

– كلا يا سيدي، فإنني لم ألتحق بخدمتها إلا منذ شهرين .

– و هل كان سلوكها في أثناء الرحلة يبدو عاديا ؟

– بل كانت تبدو قلقة مضطربة .

– متى سمعت من سيدتك أنك ستتخلفين في "**باريس**" ؟

– ونحن في محطة " **ليون** " ... فقد خطر لسيدتي أن تتمشى قليلا على الرصيف ، ولكنها حين خرجت إلى الممشى بدت عليها الدهشة ثم رجعت إلى المقصورة وفي صحبتها أحد السادة ، ثم أغلقت الباب الذي يفصل بين مقصورتها ومقصورتي ، ولذلك لم أعد أراهما أو أسمع الحديث الذي يتبادلانه ، إلى أن فتحت الباب الفاصل بيننا فجأة وأخبرتني بأنها غيرت رأيها وأمرتني بأن أغادر القطار وأن أعود إلى فندق " **ريتز** " ، وأظل هناك حتى توافيني بتعليماتها ، فغادرت القطار وهو يوشك أن يتحرك . وعاد قاضي التحقيق يسألها :

– حينما جاءت السيدة " **كيترنج** " إلى مقصورتك وأخبرتك بتعديل خطتها أين كان السيد الذي صحبها ؟

– كان في المقصورة الكبيرة يتطلع من النافذة . .

– هل لك أن تدلي إلينا بأوصافه . . ؟

– الواقع يا سيدي أنني لم أكد أتبين وجهه ، فقد كان طوال الوقت يوليني ظهره . . إنه شاب طويل القامة أسود الشعر أسمر البشرة ، وكان يرتدي معطفا أزرق اللون غامقا وقبعة رمادية .

– أكان واحدا من ركاب القطار . .؟

– لا أظن يا سيدي ، فقد وقع في روعي أنه جاء إلى المحطة خصيصا لمقابلة السيدة " **كيترنغ** " في أثناء مرور القطار . استطرد قاضي التحقيق السيد "**كاريدج**" :

– لقد طلبت سيدتك فيما بعد من ملاحظ القطار ألا يوقظها مبكرا في صباح اليوم التالي ، فهل كان من عادتها أن تصحو في ساعة متأخرة . . ؟

– نعم يا سيدي ، فلم يكن من عادتها قط أن تتناول طعام الفطور؛ إذ لم تكن لتصحو إلا قبيل الظهيرة . وسألها :

– كان بين متاع سيدتك علبة حمراء من جلد التمساح ، أليس كذلك . .؟ علبة جواهر . .

– هذا صحيح يا سيدي .

– هل أخذت هذه العلبة معك إلى فندق " **ريتز** " ؟

– أنا آخذ علبة المجوهرات ؟ إنني لم آخذها بالتأكيد .

– أجاءت سيدتك معها بالكثير من جواهرها . . ؟

– إن ما جاءت به لم يكن بالقدرالضئيل ، وهذا ما أثار قلقي . إن اليواقيت الحمراء تساوي نصف مليون دولار كما أخبرتني سيدتي . فقال " **فان ألدن** " فجأة في نبرة أشبه بالزمجرة :

– اليواقيت الحمراء . .! اليواقيت . .! وتحولت إليه الوصيفة " **آدي ميسون** " قائلة :

– أعتقد أنك أنت الذي أهديتها هذه اليواقيت يا سيدي ... ومنذ فترة وجيزة .

وهتف " **فان ألدن** " :

– يا إلهي ..! كيف أخذت هذه اليواقيت معها ...؟! لقد أوصيتها بأن تودعها البنك . وتنحنح السيد " **كاريدج** " قاضي التحقيق ، ثم قال :

– يمكنك أن تنتظري في المقصورة المجاورة يا آنسة " **ميسون** " ؛ حتى توقعي محضر الشهادة . وما إن انصرفت الوصيفة حتى تناول قاضي التحقيق من حقيبته خطابا قدمه إلى السيد " **فان ألدن** " قائلا :

– لقد عثرنا على هذا الخطاب في حقيبة السيدة " **كيترنغ** " وكان هذا نصه :

صديقتي العزيزة ..

سأطيعك ولن أخالف لك أمرا .. ربما كانت الإقامة في "**باريس**" تتسم بالرعونة والحماقة ، لكن جزيرة الذهب تقع في بقعة منعزلة ، ويستحيل أن تتسرب منها أسرارنا . إنه لفضل كبير منك أن تبدي هذا الاهتمام بالكتاب الذي أؤلفه عن الجواهر الشهيرة . وإنه ليسعدني أن سمحت لي بأن أرى هذه اليواقيت الحمراء ذات الشهرة التاريخية ، قبل أن أكتب عنها ، فقد خصصت لـ "**جذوة النار**" فصلا في كتابي . سوف نلتقي عاجلا وسوف أبذل جهدي حتى أعوضك عن فترة الحرمان .

المحب المخلص

" **أرماند** "

- 15 -

قرأ " **فان ألدن** " الخطاب صامتا دون أن ينبس بكلمة واحدة ، وإن كانت سحنته قد انقلبت قرمزية متضرجة احمرارا لفرط ما استبد به من غضب ، على حين كان الرجال الثلاثة يتظاهرون بأنهم منشغلون عنه . وأعاد الخطاب إلى السيد

"**كاريدج**" فسأله هذا :

– لعلك تعلم يا سيدي من يكون " **أرماند** " هذا . فقال " **فان ألدن** " في كلمات تتثاقل على لسانه كأنها تأبى أن تزايل حلقه :

– نعم .. إنني أعرفه ... إنه مغامر أفَّاق يزعم أنه يدعى الكونت "**أرماند دي لاروش**" . وران على الجميع صمت قصير ، ثم استطرد في كلمات متمهلة :

– لقد بدأ الأمر في "**باريس**" منذ اثنتي عشرة سنة .. كانت ابنتي عندئذ صبية يافعة ، وقد تعرفت – دون أن يبلغني الأمر – إلى هذا المدعو الكونت "**دي لاروش**" ولعلكم سمعتم عنه من قبل . فأومأ مفتش الشرطة و "**بوارو**" برأسيهما مؤمنين . وقال مفتش الشرطة :

– إنه ينتحل لنفسه لقب الكونت إلا أنك لن تجد اسمه مدرجا في دليل النبلاء فقال "**فان ألدن** " :

– لقد بلغني ذلك . وهذا الأفَّاق وسيم الوجه وله عند النساء جاذبية طاغية، وقد افتتنت به ابنتي " **روث** " ، ولكنني بادرت فوضعت حداً لهذه العلاقة المشينة. فقال مفتش الشرطة :

– إنك لعلى حق يا سيدي فيما فعلت؛ فللرجل في سجلاتنا صحائف مشينة ، ولكننا لا نملك ضده دليلا ، فهو ماكر شديد الدهاء .وعلاقاته قاصرة على نساء المجتمع الراقي ، فإذا احتال على إحداهن أو استولى على جواهرها أبت أن تشكوه حتى لا تشهِّر بنفسها أو تلطخ سمعتها بالوحل . و عاد المليونير " **فان ألدن** " إلى إتمام حديثه بقوله :

– قلت لكم إنني تدخلت في الأمر وحتمت عليها أن تقطع الصلة القائمة بينهما ، وتم هذا فعلا . وبعد عام التقت " **روث** " بزوجها الحالي ، وتم زواجهما . ولكنني علمت منذ أسبوع واحد أن ابنتي قد عادت تلتقي بذلك الأفَّاق ، وقد تحدثت إليها عما في تصرفها هذا من طيش وحماقة . وانتهى الأمر بأن كاشفتني بأنها غير سعيدة في زواجها فأشرت عليها بأن تطلب الطلاق . وبرقت عينا

"**بوارو**" وقال :

– استمر في حديثك يا سيدي .

– وفي الوقت ذاته أوضحت لها ضرورة الكف عن مقابلة الكونت "**دي لاروش**" ، ولو على الأقل إلى أن يتم الطلاق ، وأعتقد أنها أقرتني على وجهة نظري. فتنحنح قاضي التحقيق وقال معقبا :

– ولكن هذا الخطاب الذي كتبه إليها الكونت يوحي بأن علاقتهما ظلت قائمة . فقال " **فان ألدن** " مؤمنا :

– هذا صحيح ... هذا الخطاب يدل على أن " **روث** " كانت تنوي الذهاب إلى "**باريس**" ومقابلة الكونت هناك . واستطرد " **فان ألدن** " مزمجرا :

– كيف صدقت أن هذا الأفَّاق " **دي لاروش** " يؤلف كتابا عن الجواهر الشهيرة؟ إنها ... حجة تذرع بها للاستيلاء على ياقوتة " **جذوة النار** " . فقال " **بوارو** " :

– لقد ذاعت أخيرا إشاعة تقول إن مليونيرا أمريكيًّا هو الذي اشترى " **جذوة النار**" ، وقد عرفنا الآن أنك أنت هو هذا المليونير . فعقَّب " **فان ألدن** " :

– لقد اشتريتها منذ عشرة أيام. فقال " **بوارو** " مقاطعا:

– ولكنك كنت تتفاوض في شرائها منذ أكثر من شهرين. فتساءل " **فان ألدن** " في نبرة استغراب :

– لكن كيف انتهى إليك هذا النبأ . . ؟

– إن مثل هذه الأمور لا تخفى . وران على الحاضرين صمت وجيز قطعه "**بوارو**" قائلا :

– والآن فلننسق ما لدينا من معلومات ... لقد عرف الكونت "**دي لاروش**" بوسيلة ما أنك اشتريت قلادة " **جذوة النار** " فأقنع السيدة " **كيترنج** " بأن تأتي معها باليواقيت ، فهو إذن الرجل الذي شاهدته الوصيفة الآنسة " **ميسون** " في القطار . وأمَّن الرجال الثلاثة على قوله ، واستطرد :

– وكما قررت الوصيفة تجلت الدهشة على وجه السيدة " **كيترنج** " عندما رأت

الكونت . وفي الحال أمرت وصيفتها بأن تغادر القطار فورا وأن تعود إلى "**باريس**" ؛ حتى لا تتيح لها فرصة لمشاهدة الكونت . كما أمرتها بأن تشتري من رصيف المحطة سلة طعام لوجبة العشاء . وتابع " **بوارو** " الحديث بقوله :

– وقد عرفنا من الملاحظ أنه قام في الصباح بتنسيق المقصورة الكبيرة الأصلية التي تشغلها السيدة " **كيترنج** " ، ولكنها أمرته أن يدع المقصورة الإضافية على حالها وألا يدخلها ، والسبب في هذا أن الكونت "**دي لاروش**" كان مختبئا في هذه المقصورة . والآن وهما وحدهما في المقصورة فليس أهون عليه من أن يرتكب جريمته . وبعد هذا استولى الكونت على علبة الجواهر ، وظل قابعا في المقصورة ، فلما توقف القطار في " **ليون** " تسلل منه دون أن يفطن إليه أحد . وقال مفتش الشرطة :

– لقد كانت حماقة بالغة من الكونت أنه لم يفتش الحقيبة بحثا عن الخطاب. فقال قاضي التحقيق :

– لا شك في أنه اعتقد أن السيدة مزقت الخطاب بعد أن قرأته . فقال " **بوارو**" في نبرة شاردة :

– إن الكونت "**دي لاروش**" رجل خبير بالنساء ، وبحكم هذا يعرف أن المرأة لا تمزق عادة خطاب عشيقها ، وإنما تؤثر أن تحتفظ به، فكيف فاته هذا..؟

– ماذا تقصد يا سيد " **بوارو** " .. ؟

– أقصد أن رجلا من طرازه له خبرته لا يمكن أن يفوته مثل هذا الأمر . وقال مفتش الشرطة :

– القضية الآن لم تعد لغزا مستغلقا ، والمشكلة الوحيدة التي تواجهنا هي كيف نقيم الدليل على أنه القاتل . فقال "**بوارو**" :

– إذا كان الكونت هو القاتل فإن .. فقاطعه مفتش الشرطة في استنكار :

– أبعد كل هذا تقول إذا كان هو القاتل؟!

– نعم يا سيدي المفتش ... إذا كان ... إذا ..

– إذن فأنت ترتاب في إسناد الجريمة إليه . وبعد لحظات عاد مفتش الشرطة يقول :

– يبدو أننا تسرعنا في إسناد الجريمة إلى الكونت ... ما يدرينا أن الكونت قد يثبت أنه كان في مكان آخر ساعة وقوعها .. ؟ فقال "بوارو" :

– هذه مسألة لا أهمية لها ، فإنه إن كان هو القاتل فلا بد من أنه أعد دليلا يثبت به أنه كان في مكان آخر ... ثم أردف :

– إنني حين قلت إذا كان هو القاتل فإنما كنت أقصد شيئا آخر مختلفا .

– إذن ماذا كنت تقصد يا سيد " بوارو " .. ؟

– أقصد دراسة الطبيعة البشرية .. إن الكونت أفَّاق ونصاب .. هذا صحيح... إنه محتال يخدع النساء ويستولي على أموالهن ... هذا صحيح. ولكن هل هو من الطراز الذي يقتل ... ؟ إنني أقول لا .. ! إنه مجرد محتال ولكنه لا يمكن أن يكون قاتلا . فقال قاضي التحقيق :

– ما يدرينا.. لعله فقد السيطرة على نفسه فقتلها .

– ولِمَ يقتلها ..؟ كان من السهل عليه أن يستولي على الجواهر برضائها كما فعل عشرات المرات مع غيرها من النساء . ومع ذلك فهذا مجرد رأي . فقال قاضي التحقيق :

– سأصدر على الفور أمرا بالبحث عنه واعتقاله فهل أنتم موافقون؟

فردوا جميعا بالإيجاب عدا " بوارو " الذي لزم الصمت غارقا في خواطره .

- 16 -

قال السيد " بوارو " يخاطب قاضي التحقيق :

– ما دمت قد قررت أن تصدر أمرا باعتقاله ، فدعني أهون عليك الأمر . إن الكونت "دي لاروش" موجود في فيلا استأجرها للإقامة فيها مؤقتا ، هي فيلا

" **مارينا** " في " **أنتيب** " . تطلعوا إليه جميعا في دهشة وتساءلوا :

– لكن كيف عرفت هذا ؟ وكان الجواب :

– عملي يقتضيني أن أعرف . وتحول " **بوارو** " إلى المليونير الأمريكي يسأله :

– هل أنت مقتنع يا سيد " **فان ألدن** " بأن الكونت "**دي لاروش**" هو القاتل..؟

– بالتأكيد .. إن الأمر واضح . وقال مفتش الشرطة في كلمات متمهلة :

– هل تعرف يا سيد "**فان ألدن**" أن صهرك كان من بين ركاب القطار الأزرق؟ فأجاب :

– بلغني هذا قبل أن أغادر " **لندن** " . واستطرد المفتش :

– لقد أخبرني بأنه لم تكن لديه أدنى فكرة عن أن زوجته مسافرة في القطار نفسه . فقال " **فان ألدن** " :

– إنه بالتأكيد لم يكن ليعرف ، وإلا لكان الأمر بالغ الحرج والدقة لو أنه التقى بزوجته . فسأله المفتش في استغراب :

– ماذا تعني.. ؟ ولِمَ الحرج .. ؟

– لأن " **ديريك كيترنج** " لم يكن مسافرا وحده ، بل كانت تصحبه "**ميريل**" الراقصة الشهيرة . وقال المفتش :

– لقد تلقى نبأ مصرع زوجته بدهشة، ولكنه يحاول أن يتظاهر بالحزن... وتدخل " **بوارو** " في الحديث قائلا :

– هل يستفيد صهرك السيد " **كيترنج** " من موت زوجته .. ؟ وأجاب " **فان ألدن** " :

– سوف يرث مليونين ، لقد أودعت في البنك مليوني جنيه باسم ابنتي ، وسيؤول هذا المبلغ إلى زوجها؛ لأن " **روث** " لم تحرر وصية . فقال " **بوارو** " :

– وكانا يوشكان أن يطلقا . فتحول إليه مفتش الشرطة وقال في انفعال :

– أتعني أن زوجها هو الذي قتلها قبل وقوع الطلاق حتى لا يفلت منه

المليونان.. ؟ وكان جواب " **بوارو** " :

- لا أعني شيئا إطلاقًا . إنني أحاول أن أنسق الوقائع . ونهض " **بوارو** " واقفا وهو يقول :

- أعتقد أنه لا جدوى من بقائي هنا أكثر من ذلك . ونهض " **فان ألدن** " بدوره واقفا وهو يقول :

- إذا أذنتم لي سأصحب السيد " **بوارو** " . وتمشى الرجلان على إفريز الشارع دقيقة أو دقيقتين وهما صامتان ، ثم قال " **فان ألدن** " فجأة :

- لقد فهمت يا سيد " **بوارو** " أنك تقاعدت .

- لقد أردت أن أفسح الطريق لغيري .

- ولكني رأيتك الآن تساعد الشرطة . فضحك " **بوارو** " وقال :

- إنني كالطبيب الذي اعتزل العمل ... إذا تصادف أن رأى سيارة تصدم شخصا ، فهل يقف مكتوف اليدين لأنه اعتزل الطب أم يسعف المصاب .. ؟ لقد تصادف أن كنت في القطار الأزرق في أثناء وقوع الجريمة ، ولذلك ساهمت مع الشرطة في التحقيق . فقال " **فان ألدن** " :

- ترى هل فتشت مقصورة ابنتي .. ؟ فأومأ " **بوارو** " إيجابا :

- ألم تعثر على شيء قد ينير أمامك الطريق ؟ فاجاب "**بوارو**" :

- هذا محتمل . فقال " **فان ألدن** " :

- إنني أعتقد أن الكونت "**دي لاروش**" هو القاتل ، ولكنني لست ساذجا؛ فقد كنت أتأمل وجهك في أثناء الاجتماع ، وقرأت في أساريرك أنك غير مقتنع تماما بهذه النظرية . فقال " **بوارو** " وهو يهز كتفيه بلا اكتراث :

- لعلي على خطإٍ في هذا الرأي . فقال " **فان ألدن** " في بساطة وصراحة :

- إنني أريد منك أن تساهم في التحقيق على حسابي .

- أتدرك يا سيد " **فان ألدن** " معنى هذه العبارة .. ؟ إنني عندما أشترك في إحدى القضايا فإنني أكشف الحقائق صريحة واضحة حتى لو أساءت إلى عميلي ..

و حتى لو أدانته هو نفسه .

– إنني موافق على هذا ... إنني أريد الحقيقة . وصمت " **بوارو** " برهة ثم قال:

– وثمة شيء آخر ... إنني لا أقبل الاشتراك في أية قضية إلا إذا عرفت كل شيء... إنني لا أسمح لعميلي بأن يخفي عني أي شيء من المعلومات .

– سل ما بدا لك يا سيد " **بوارو** " . فقال " **بوارو** " :

– مسألة الطلاق ... هل أنت الذي نصحت ابنتك بأن تطلب الطلاق ..؟

فأومأ" **فان ألدن** " إيجابا ، وتساءل "**بوارو** " :

– ومتى كان ذلك ..؟

– منذ عشرة أيام، فقد شكت إليّ زوجها ، فقلت لها إن الطلاق هو الحل الوحيد. وكانت شكواها منصبة على علاقته بهذه الراقصة الخطيرة " **ميريل**" .

وتساءل "**بوارو** " :

– لقد فهمت أن زواجهما لم يكن سعيدا منذ البداية .. ؟

– إن " **ديريك كيترنج** " شاب فاسد لا يمكن أن يسعد امرأة .

– ومتى علم السيد " **ديريك** " أن زوجته قررت الطلاق ؟

– لقد استدعيته إلى مقابلتي وصارحته بما أنتوي .

– وكيف كانت ردة الفعل لديه .. ؟

– كان وقحا جريئا .

– وهل أشار في حديثه إلى الكونت "**دي لاروش**" .. ؟

– لم يذكر اسمه صراحة ، ولكنني أدركت من تلميحاته أنه يعرف شيئا أو على الأقل يشعر بشيء .

– هل لك أن تذكر لي شيئا عن حالته المالية .. ؟

– إنه مفلس متورط في الديون إلى أقصى حد . فقال " **بوارو** " :

– والآن سيرث بضعة ملايين .. !

– ماذا تعني .. ؟ أتريد أن تقول إنه هو القاتل .. ؟

– إني لا أعني شيئا . وتساءل " **بوارو** " :

– ألاتزال على صلة به .. ؟ فتردد " **فان ألدن** " برهة ثم أجاب :

– لا .. لست على اتصال به. ونهض " **بوارو** " واقفا وهو يقول :

– اسمح لي بالانصراف يا سيدي . فحملق إليه " **فان ألدن** " دهشة وقال :

– ما معنى هذا يا سيدي .. ؟

– معناه أنني سأتنحى عن القضية طالما تنوي أن تكتم دوني بعض الحقائق .فقال المليونير مستسلما :

– إنك لعلى حق ... لقد بعثت إليه بسكرتيري الرائد " **كايتون** " ؛ ليعرض عليه مائة ألف جنيه إن هو رضي بألا يعترض على الطلاق ، ولكنه رفض وقال لسكرتيري أن يقول لي فلأذهب إلى الجحيم .

– لقد أخبر " **كيترنج** " الشرطة بأنه لم يتحدث إلى زوجته وهي في القطار ، فهل هذا صحيح في رأيك .. ؟

– أعتقد أنه لم يكن كاذبا؛ لأن عشيقته الراقصة " **ميريل** " كانت في صحبته في القطار نفسه ، فلا بد من أنه اتخذ كل حيطة ممكنة حتى لا تراه زوجته .

– وكيف عرفت أن " **ميريل** " كانت في القطار .. ؟

– عهدت إلى مخبر خاص بتعقب خطوات ابنتي فأخطرني أن " **كيترنج** " وعشيقته سافرا بالقطار نفسه .

وغرق " **بوارو** " في التفكير محاولا أن ينسق المعلومات التي سمعها حتى يخرج منها ببعض النتائج . واحترم " **فان ألدن** " استغراقه ، فلم يقطع عليه صمته بكلمة واحدة .

- 17 -

كان " **بوارو** " يتناول فطوره حين قرع جرس الباب ، ففتح خادمه " **جورج** " الباب، وجاءه برسالة من مفتش الشرطة السيد " **كوكس** " يرجوه فيها الحضور؛ لأن قاضي التحقيق سيشرع في استجواب الكونت "**دي لاروش**" . وبعد ربع الساعة كان " **بوارو** " يحيي الرجلين . وقال السيد " **كوكس** " :

– إن القضية تبدو مخيبة للأمل ؛ إذ يبدو من التحقيق أن الكونت "**دي لاروش**" وصل إلى " **نيس** " في اليوم السابق لمصرع السيدة " **كيترنج** " . وقال السيد "**كاريدج** " قاضي التحقيق معقبا :

– يجب أن نقبل دليل النفي هذا بمنتهى الحذر فلعله قد دبره من قبل في دهاء .

ثم أمر باستدعاء الكونت "**دي لاروش**" . كان شابا وسيما جريء السمات ، تتلاعب على شفتيه ابتسامة جذابة . تساءل في بساطة :

– ترى لمَ أرسلتم في استدعائي أيها السادة .. ؟ ودعاه القاضي إلى الجلوس وقال في هدوء :

– إننا نحقق في وفاة السيدة " **كيترنج** " . أعتقد أنك كنت تعرفها معرفة وثيقة..؟

– هذا صحيح .. لكن ما شأن هذا بمصرعها .. ؟

– لعلك لا تعرف يا سيدي الكونت أن السيدة " **كيترنج** " ماتت مقتولة..

– مقتولة ..! يا إلهي ..! هذا فظيع ..! وبانت في أساريره الدهشة والأسى العميق .

– لقد خنقت السيدة " **كيترنج** " في الطريق بين "**باريس**" و " **ليون** " ، وسرقت جواهرها . واستطرد قاضي التحقيق :

– لقد وجدنا في حقيبة السيدة خطابا منك ، وبدا لنا أنها كانت قد اتفقت معك على اللقاء . وهز الكونت كتفيه في غير مبالاة وقال :

– وما الداعي إلى الإنكار ؟

– أعتقد يا سيدي الكونت أنك قابلتها في "**باريس**" وسافرت معها في القطار نفسه .. القطار الأزرق .

– كان هذا هو الاتفاق الأصلي ، ولكن السيدة عدلت عن رأيها ، وطلبت مني أن أقابلها في " **هاييرز** " .

– ألم تقابلها مساء 14 الجاري في محطة " **ليون** " .. ؟

– هذا غير صحيح ، فقد وصلت إلى " **نيس** " صباح ذلك اليوم ، فمن المستحيل أن أكون في محطة " **ليون** " مساء اليوم نفسه.

– إنك على حق في هذا ، لكن هل لك أن تدلي إليّ بجميع تحركاتك مساء وليلة 14 الجاري؟ وتريث الكونت برهة مفكرا ثم أجاب :

– تعشيت في " **مونت كارلو** " ثم ذهبت إلى نادي " **سبورتنج** " وخسرت بضعة آلاف من أوراق البنكنوت ، ثم عدت إلى بيتي في منتصف الليل .

– ألم يرك أحد في أثناء رجوعك .. ؟

– كلا ، فقد رجعت وحدي في سيارتي الصغيرة .

– ألديك شاهد يؤيد أقوالك هذه ..؟

– لاشك في أن كثيرا من الأصدقاء شاهدوني . أما خادمي فلم يرني، فقد فتحت الباب بمفتاحي الخاص . وأمر قاضي التحقيق باستدعاء الوصيفة " **آدي ميسون** " . وقال لها القاضي:

– أرجو يا آنسة أن تخبريني عما إذا كان هذا السيد هو الذي رأيته يدخل مقصورة سيدتك .. ؟ فتأملت الوصيفة الكونت برهة ثم أجابت :

– إنني غير متأكدة . لقد رأيت ظهره فحسب ، وإن كان يخيل إليّ أنه هو الشخص نفسه .

– ولكنك لست متأكدة .. ؟

– كلا يا سيدي ... إنني لست متأكدة . وأمرها القاضي بالانصراف وقد خاب

أمله ، ولكن " **بوارو** " استوقفها وسالها :

ـ ما الذي حدث لتذاكر القطار من " **لندن** " إلى "**نيس** " .. ؟ أهي معك أم مع سيدتك .. ؟

ـ كانت تذكرة " **البولمان** " مع السيدة ، أما باقي التذاكر فكانت في عهدتي ، وقد أعطيتها لملاحظ القطار الفرنسي؛ لأنه أخبرني بأن العرف جرى بهذا .

ودوّن " **بوارو** " كلمة على رقعة من الورق وناولها إلى السيد " **كاريدج** " ، وأذن للوصيفة بالانصراف . وبعد أن انصرف الكونت قال القاضي للسيد "**بوارو**" :

ـ إنك كنت على حق يا سيدي فيما ذكرته في رقعتك إليّ ... نعم .. يجب أن نشعره بأنه ليس محلاً للاشتباه إطلاقًا . ولكن اثنين من المخبرين سوف يتعقبان خطاه ليلا ونهارا . ولم تمض دقائق حتى كان " **ديريك كيترنج** " يواجه رجال التحقيق ، وقال متسائلا :

ـ هل اهتديتم إلى جديد ؟ فأجابه القاضي :

ـ لم نهتد إلى جديد بعد، ولكننا أردنا أن نستفسر منك عن أشياء... هل أنت واثق بأنك لم تتحدث إلى زوجتك ولم تلمحها وهي في القطار الأزرق..؟

ـ سبق أن قلت إنني لم أرها .

ـ لا شك في أن لديك سببا وجيها للإنكار. فحملق إليه " **ديريك** " في حيرة وقال في بطء وتمهل وكلمات متقطعة :

ـ إنني لم أكن لأعرف أنها في القطار الأزرق .

ـ هذا هو ما تقرره أنت يا سيد "**ديريك**" !

ـ ما الذي تعنيه بهذه التلميحات يا سيدي .. ؟ وفجاة ساله " **بوارو** " :

ـ لقد فهمت أن السيدة "**كيترنج** " لم تحرر وصية بعد . فأجاب :

ـ لا أعتقد أنها كتبت وصيتها .

ـ إذن فقد هبطت عليك فجاة من السماء ثروة كبيرة .. ؟ وعلى الرغم من أن "**بوارو** " كان متشاغلا بالتطلع إلى السقف ، إلا انه لم تفته الحمرة التي تضرج بها

وجه " **ديريك** " .

– إلامَ تقصد بهذا يا سيدي .. ؟ لكن من أنت أولا يا سيدي ، فإن أحدا لم يقدمك إليّ .. ؟ ونظر "**بوارو**" إلى وجه الشاب متأملا وأجاب :

– إنني أدعى " **هيركيول بوارو** " ، وأعتقد أنني أعظم مخبر سري في العالم، وشهرتي طبقت جميع الآفاق . ثم أردف على الفور :

– أموقن أنت بأنك لم تر زوجتك أو تتحدث إليها وهي في القطار .. ؟

– ما الذي تهدف إليه بهذا السؤال يا سيدي .. ؟ أتراك تعني أنني أنا الذي قتلتها .. ؟ لو أنني كنت القاتل لما سرقت جواهرها . وعاد " **بوارو** " يتأمل وجه الفتى في اهتمام وقال:

– سؤال آخر يا سيد " **كيترنج** " ... أيمكن أن تذكر لي تاريخ آخر مرة قابلت فيها زوجتك .. ؟ فقال مفكرا :

– أعتقد أنني رأيتها منذ أكثر من ثلاثة أسابيع . وأذنوا لـ "**ديريك كيترنج** " بالانصراف ، فغادر الغرفة وهو يصفق الباب وراءه بعنف . وقال " **بوارو** " يسأل زملاءه المحققين :

– متى تحدثتم إلى السيد " **كيترنج** " عن هذه الجواهر لأول مرة ؟ فأجاب مفتش الشرطة السيد " **كوكس** " :

– إنني لم أحدثه عنها مطلقا؛ إذ إنني لم أعرف بأمرها من السيد " **فان ألدن** " إلا بعد ظهر الأمس .

– لكن الكونت "**دي لاروش**" سبق أن أشار إليها في خطابه . فقال السيد "**كاريدج** " قاضي التحقيق :

– لكنني لم أتحدث إلى السيد " **كيترنج** " عن هذا الخطاب؛ إذ لم يكن من اللائق أن أخبره بأن لزوجته علاقة برجل آخر. فقال " **بوارو** " بصوت غريب النبرات:

– إذن فكيف عرف " **كيترنج** " بامر المجوهرات .. ؟ زوجته لم تحدثه عنها؛

لأنهما لم يلتقيا ، والسيد " **فان ألدن** " وسكرتيره لم يذكرا له شيئا عنها ، ومع ذلك فهو يعرف كل شيء عن هذه الجواهر .

- 18 -

ذهب " **ديريك كيترنج** " من فوره إلى مطعم " **نجريسكو** " وطلب قدحا من الكوكتيل ومضى يدير عينيه في أرجاء المقهى يتأمل وجوه الناس شاردا .

وفجأة لمح عشيقته الراقصة الشهيرة " **ميريل** " . ولمحته الفتاة في اللحظة نفسها ، فمضت إليه ، واتخذت مقعدها إزاءه وهي تقول :

– لا شك في أنه قد أسعدك أن نلتقي هكذا مصادفة . فقال لها في اقتضاب :

– مرحبا بك في "**باريس** " ، لكن متى غادرت " **لندن** " ؟

– منذ يوم أو يومين .

– لكن ماذا فعلت مع " **البارثينون** " .. ؟ إنك ترقصين هناك كل ليلة .

– لقد أوليتهم ظهري فما عدت أحتاج إليهم . وأشعلت سيجارة ، نفثت منها عدة أنفاس ثم قالت :

– أتراني تعجلت الأمور .. ؟ أترى أنه كان يجب أن أتريث قليلا . وهز "**كيترنج** " كتفيه بلا اكتراث ولم يجب . وقالت الراقصة :

– إنك لم تحاول أن تتصل بي منذ أن خرجت غاضبا من مسكني في "**لندن**" ... لكن هذا قد انتهى الآن .. إنني لم أعد ناقمة عليك . فقال لها "**ديريك** " :

– اسمعي يا فتاتي، لقد حدثتك ونحن في " **لندن** " عن إفلاسي ، واتفقنا على أن من حق الفئران أن تغادر السفينة الغارقة . و مالت " **ميريل** " نحوه فجأة وقالت :

– إنك لا تستطيع أن تخدعني .. إنني أعرف ما فعلته من أجلي . فتطلع إليها

في دهشة محملقا فقالت له :

– لا تخف .. ! إني كتومة للسر ... وما كنت لأحسبك شجاعا إلى هذا الحد . ومهما يكن فأنا التي أوحيت إليك بالفكرة عندما قلت لك إن بعض الحوادث قد تقع فجأة للزوجة فيرث زوجها أموالها دون أن يرتاب فيه أحد ... وأنت الآن في أمان ولست مستهدفا لأي خطر .. إن الشرطة لم تشتبه فيك بالتأكيد .. فصرخ فيها " **كيترنج** " :

– يا إلهي .. ! ما هذا الذي تقولين ؟! ورفعت إصبعها تحذره ، وهمست :

– أصبت، هذه الأمور لا يجوز التحدث عنها ولو تلميحا .. إن للجدران آذانا ..! لكن حسبنا أن نعرف أن متاعبنا المالية قد انتهت ، وسنعيش معا سعداء نتقلب في أحضان الملايين . وأطلق " **ديريك** " ضحكة مرحة ساخرة وقال :

– إذن فقد رجعت الجرذان إلى السفينة الغارقة .. إن مليونين من الجنيهات كفيلة بأن تحدث فرقا جسيما .. ! اسمعي يا " **ميريل** " ... لقد انتهى ما بيننا .

– ألا تعلم أنني أحبك ... ؟ إنك لا تستطيع أن تعيش دوني وسأجعلك أسعد إنسان في الوجود . فقال في إصرار :

– قلت لك إن ما بيننا قد انتهى .. لقد خطبت إحدى الفتيات .

– إذن فلن نتناول الغداء معا ؟

– بل سأتناوله مع خطيبتي .. ها هي ذي قادمة . وهب واقفا ، واتجه إلى فتاة ترتقي الدرج وخلف " **ميريل** " تحملق في ذهول وقال للفتاة :

– الآنسة " **جراي** " ... هل تسمحين لي بأن أدعوك إلى الغداء ؟ إنك تذكرين أننا التقينا عند الليدي "**تامبلين**" . وتطلعت إليه " **كاترين** " برهة، ثم قالت باسمة:

– إنه ليسعدني حقا أن ألبي دعوتك .

- 19 -

حمل الخادم صينية القهوة وزجاجة الشراب إلى سيده الكونت "**دي لاروش**" بعد أن تناول فطوره . وتطلع الكونت إلى وصيفه " **هيبوليت** " وقال :

– من المحتمل أن يطرق البيت بعض الغرباء ، وسيحاولون أن يتوددوا إليك و إلى "**ماري** " ، وأن يوجهوا إليكم بعض الأسئلة المتعلقة بشؤوني .

– وبمَ تأمر يا سيدي الكونت .. ؟

– إنني أريد فقط أن أذكرك ببعض ما حدث في خلال الأيام الماضية . . . إنك تعرف بالتأكيد أنني وصلت هنا صباح الثلاثاء الماضي ، فإذا سألك أحد من رجال الشرطة سواء أكانوا في الزي المدني أم في زيهم الرسمي ، فأرجو ألا تنسى هذه الواقعة ، إنني وصلت إلى " **نيس** " صباح الثلاثاء الماضي الموافق 14من الشهر الجاري . . . الثلاثاء وليس الأربعاء 15 من الشهر الجاري .

– إنني فاهم تماما يا سيدي الكونت .

– إنك تعلم بالتأكيد أنه في المسائل المتصلة بإحدى السيدات يضطر المرء إلى الكذب .

– تماما يا سيدي . . . هذا تصرف يقضي به النبل .

– وزوجتك "**ماري**" .. مارأيها .. ؟

– إنها تنفذ ما أطلبه منها . فغمغم الكونت :

– إذن فلن تنفضح هذه السيدة . وصرف الكونت "**دي لاروش**" خادمه ، ولكن الخادم ما لبث أن رجع إليه يخطره بأن سيدة تطلب مقابلته . وقالت الزائرة :

– إنني أدعى " **ميريل** " ، ولعلك سمعت باسمي من قبل.

– بالتأكيد .. بالتأكيد .. إذا كنت الآنسة " **ميريل** " الراقصة .. لقد فتنتني رقصاتك وسحرتني . وابتسمت الراقصة وقالت في رقة :

– لكنني أقحمت نفسي على بيتك دون سابق معرفة .

– هذا شرف عظيم لي يا آنسة .

– لقد سمعت الجميع في " **نيس** " يرددون أن الكونت "**دي لاروش**" هو الذي قتل السيدة " **كيترنج** " في القطار الأزرق . فهتف الكونت :

– أنا ؟ ما أسخف هذا الادعاء ..! فاستطردت " **ميريل** " :

– لكن الناس يؤكدون العكس .

– إنك تعلمين بالتأكيد مدى ولع الناس بالأقاويل . فقالت باسمة :

– إن رجال الشرطة هم الذين يوجهون إليك هذا الاتهام ، إنه مدير الشرطة نفسه. لكنني أعلم أنهم مخطئون . فقال الكونت في مجاملة ورقة :

– لكنك على حق يا آنسة ... إنني لم أقتل السيدة " **كيترنج** " .

– إنني أصدقك كما أنني أعرف القاتل . فتساءل الكونت في حدة :

– و من يكون القاتل .. ؟

– زوجها ... إنه هو الذي قتلها.

– وكيف عرفت هذا يا آنسة .. ؟ وأطلقت " **ميريل** " ضحكة مرحة وقالت :

– إنه هو الذي صارحني بما كان ينوي قبل أن يقدم على جريمته .. كان مفلسا وغارقا في الديون ، وقال لي إن موت زوجته هو الكفيل بإنقاذه ... ولقد سافر في القطار نفسه .. القطار الأزرق دون أن يخطرها بسفره . وفي الليل تسلل إلى مقصورتها وقتلها ...

– ولكنه لم يسرق المجوهرات مادام سيرثها ..؟ ثم سألها :

– وماذا تريدين مني يا آنسة .. ؟

– أريد منك أن تخطر الشرطة بالأمر .

– وإذا طلبوا مني الدليل فكيف أقدمه إليهم .. ؟ فضحكت " **ميريل** " في سخرية وقالت :

– في هذه الحالة ما عليك إلا أن تبعث بهم إليّ ... لأزودهم بالدليل الذي إليه يفتقرون .

ثم نهضت واقفة وحيت الكونت ، وانصرفت متعجلة وقال الكونت يخاطب نفسه : " إنها ثائرة مشبوبة الغضب ، فما الذي حدث حتى أهاج غضبها.. ؟ ولمَ لا تذهب بنفسها إلى الشرطة وتقنعها بدلا من إقناعي أنا..؟" .

ثم عاد يفكر في أمر نفسه ...إذن فالشرطة تعتقد أنه القاتل .. ! حسنا... في هذه الحالة يجب أن يتخذ بعض الاحتياطات .

وصعد الكونت إلى مخدعه ، ومضى إلى مكتب قائم في ركن الغرفة ، وأخرج أحد الأدراج ، وضغط على زر خفي في أقصى فجوة الدرج ، فانكشفت عن درج صغير سري ، فتناول منه لفافة رمادية صغيرة الحجم ، ثم رفع يده إلى أعلى ونزع شعرة من رأسه ، ووضعها على حافة الدرج وأعاده مكانه ، وأغلقه كما كان . ثم دس اللفافة الرمادية في جيبه . نزل إلى الخارج، واستقل سيارته الصغيرة ، ومضى إلى ملهى " **مونت كارلو** " فأمضى فيه ساعتين ، ثم خرج يجوب طرقات المدينة منطلقا إلى طريق "**منتون**" .

وللمرة الثانية لاحظ سيارة صغيرة رمادية تسير في أعقابه حيث يذهب . وكان الطريق منحدرا صاعدا إلى أعلى ، فما إن ارتقاه قليلا حتى ضغط البنزين بشدة ، فانطلقت سيارته مسرعة إلى أعلى ، في حين أصبحت السيارة الرمادية عاجزة عن اللحاق به وبذلك نجا من مطاردة رجال الشرطة.

وتوقف الكونت فجأة أمام أحد مكاتب البريد ، وقفز من السيارة تاركا المحرك دائرا ، وأخرج اللفافة الرمادية من جيبه ودخل بها إلى مكتب البريد ثم غادره دونها، وارتد إلى سيارته مسرعا ، وبعد دقيقتين كانت سيارة الشرطة قد أتمت صعود الطريق فرأت سيارة الكونت الحمراء أمام أحد المشارب ، وهو جالس إلى إحدى الموائد يحتسي قدحا من القهوة .

ورجع الكونت ثانية إلى " **مونت كارلو** " ، واشترك ساعة في لعب القمار، ثم عاد إلى الفيلاً ، فتلقاه خادمه بقوله إن أحدهم اتصل به تليفونيا ، ودعاه إلى مقابلة سيده الكونت في مطعم " **نجريسكو** " في الساعة الثالثة، فذهب على الفور

وانتظر سيده طويلا ، فلما لم يحضر رجع إلى البيت . وسأله الكونت :

– وبالتأكيد في أثناء غيابك عن الفيلاً كانت زوجتك في السوق كعادتها، وكان البيت خاليا .

وصعد الكونت مسرعا إلى مخدعه ، وفتح الدولاب وتأمل الدرج السري فلم يجد الشعرة التي ثبتها فوق حافة الدرج ، فعرف أن الشرطة هي التي دبرت هذه الخدعة؛ لإبعاد خادمه عن البيت حتى يتسنى لهم تفتيشه، وإن كان كل شيء قد أعيد إلى مكانه .

- 20 -

في صباح اليوم التالي كانت " **كاترين** " و " **لينوكس** " جالستين في شرفة الفيلاً تتسامران وتتبادلان الحديث .

وكانت جريمة القطار الأزرق هي الشغل الشاغل لأهل البيت – عدا "**لينوكس**"– فالزوج " **تشوبي** " لا يقدم " **كاترين** " لضيوفه إلا بقوله : « هذه هي "**كاترين**" التي حضرت جريمة القطار الأزرق .. تصوروا أنها تحدثت إلى القتيلة قبل مصرعها بساعات » .

أما الزوجة الليدي "**تامبلين**" فكانت تحاور وتداور محاولة أن تستدرج "**كاترين**" إلى الإفضاء بما لديها من معلومات ، حتى تسارع إلى الصحف فتبيعها هذه الأخبار بأجر ضخم . وفي ذلك الصباح كانت " **لينوكس** " تقول لضيفتها :

– لقد سرني منك بالأمس أنك أبيت أن تتكلمي . فأجابت " **كاترين** " في شيء من الخجل :

– على خلاف عادتي انفجرت غاضبة .

– لا عليك من هذا ، إن " **تشوبي** " غبي أحمق ، وقد تزوج أمي رغم فارق السن طمعا في مالها ، أما أمي فلا همَّ لها إلا استغلال الناس بوسيلة ما حتى تجني

من ورائهم مالاً وفيرا . وبعد سكتة قصيرة أردفت تقول :

– إذن فقد تناولت الغداء بالأمس مع " **ديريك** " .. هل تميلين إليه يا "**كاترين**" ..؟

– لا أدري .. ولكنه على أية حال شاب لطيف . وقالت " **لينوكس** " :

– اسمعي يا " **كاترين** " ، إن " **ديريك كيترنج** " يميل إليك. لقد فطنت إلى ذلك أول ليلة حضر فيها إلى بيتنا هذا ولكنه ليس من طرازك . وجاءت الوصيفة تدعو " **كاترين** " إلى التليفون لمحادثة " **هيركيول بوارو** " . وحين تحدثت إليه أنبأها بأن السيد" **فان ألدن** " – والد السيدة " **كيترنج** " – يرغب في مقابلتها . وأجابت "**كاترين**" :

– لا داعي إلى أن أجشمه مشقة الحضور إلى الفيلاً ، سأقابله في فندقه في "**نيس**" .

– حسنا .. سأحضر إليك إذن بعد ثلاثة أرباع الساعة . وفي الموعد المحدد كان "**بوارو** " أمام باب الفيلاً ، فمضيا معا في السيارة إلى "**نيس** " . وسألته "**كاترين**" :

– وما رأي الشرطة .. ؟

– إنهم يعتقدون أن الكونت "**دي لاروش**" هو القاتل. أما أنا فلعلَّ لي رأيا آخر . واستطرد :

– هل قابلت السيد " **ديريك كيترنج** " .. ؟ فأجابت :

– لقد التقيت به في فيلاً الليدي "**تامبلين**" وتغديت معه بالأمس . فغمز "**بوارو** " بعينه وقال ضاحكا :

– إنه من الطراز الذي يجذب النساء . إنك لمحته في القطار الأزرق .. ؟

فأجابت :

– نعم .. لقد رأيته .

– في عربة الطعام .. ؟

– كلا ، رأيته داخلا إلى مقصورة زوجته . فكر " **بوارو** " برهة ثم قال :

– أعتقد أنك ذكرت لي يا آنسة أنك كنت مستيقظة ، وأنك كنت تتطلعين من النافذة إلى محطة " **ليون** " ، فهل رأيت يا ترى شابا يغادر القطار طويل القامة أسود الشعر شبيها بـ الكونت "**دي لاروش**" . . ؟ هزت " **كاترين** " رأسها سلبا وأجابت :

– كلا . . لم أر أحدا في قوام الكونت ينزل من القطار ، وإنما الذي رأيته كان شابا ضئيل الجسم ، يضع على رأسه قبعة ويرتدي معطفا ، وقد جعل يتمشى على رصيف المحطة . كما رأيت رجلا فرنسيا سمين البدن مرتديا معطفه فوق البيچاما ، وقد نزل من القطار ليشتري قدحا من القهوة . .

ومضيا مباشرة إلى بيت السيد " **فان ألدن** " حيث كان سكرتيره " **كايتون** " في استقبالهما وبعد لحظات أقبل " **فان ألدن** " ، فبسط يديه إلى " **كاترين** " مرحّبا ، وشكرها على تجشمها مشقة الحضور ، وقال مستطردا :

– كنت في شوق إلى مقابلتك؛ لتقصي عليّ كل ما عرفتِ . والآن أرجوك ألا تكتمي دوني شيئا . وانسحب " **بوارو** " والسكرتير " **كايتون** " إلى الغرفة المجاورة ومضت " **كاترين**" تقص على المليونير كل ما دار من حديث بينها وبين " **روث** " في القطار الأزرق . وشكرها " **فان ألدن** " بحرارة ، وران عليهما الصمت برهة . وفجأة قال المليونير في رنة حزينة :

– أريد أن أوجه إليك سؤالا . . لا شك في أن السيد " **بوارو** " حدثك عن ذلك الأفّاق الذي تورطت ابنتي في حبه . . أعني الكونت "**دي لاروش**" ولا شك في أنه الرجل الذي كانت ذاهبة للقائه ، فهل تعتقدين أنها عدلت عن مقابلته بعد حديثك معها . . ؟ فأجابت :

– لست على يقين بالرد . . كل ما أعرفه أنها اتخذت قرارا، وبدت أكثر انشراحا وهدأت بالا . أما فحوى هذا القرار فلا أعرفه .

– ألم تخبرك أين كانت تنوي مقابلة هذا المغامر في "**باريس**" أم في "**هاييرز**" ؟

– نعم ... إنها لم تشر إلى هذه النقطة إطلاقا . فغمغم " **فان ألدن** " سارحا بذهنه :

– آه .. هذه هي النقطة المهمة .. ومع ذلك سوف تكشفها الأيام .

ثم مضى ودعا سكرتيره " **كايتون** " ، وطلب إلى سكرتيره أن يمضي بها إلى السيارة وحين عاد وجد " **بوارو** " و " **فان ألدن** " غارقين في حديث عميق .

وقال المليونير :

– لو أننا عرفنا القرار الذي اتخذته " **روث** " بعد حديثها مع " **كاترين** " لتكشفت أمامنا أمور كثيرة .. إن كل ما نحن على يقين به هو ما ذكرته الوصيفة من أنهما – كلتيهما – فوجئتا عندما لمحتا الكونت في القطار ، فتصرفها هذا دليل على أن لقاءهما في القطار لم يكن متفقا عليه بينهما ..! ثم تحول إلى سكرتيره قائلا :

– ترى هل تقرني على رأيي هذا يا " **كايتون** " .. ؟ فأجفل السكرتير وأجاب :

– عفوا يا سيدي .. إنني لم أكن مصغيا إلى الحديث . فقال " **فان ألدن** " ضاحكا :

– يبدو أنك من الفئة التي تحلم نهارا . وتضرَّج وجه " **كايتون** " احمرارا . واستطرد " **فان ألدن** " :

– إن الآنسة " **جراي** " فتاة ظريفة .. ترى هل لاحظت عينيها يا "**كايتون**"..؟ فأجاب :

– أي رجل ولو كان ضريرا أعمى لابد من أن يلاحظ ما لعينيها الرماديتين من جمال خلاب .

- 21 -

كان من عادة " **كاترين** " أن تتمشى قليلا كل صباح ، وحين رجعت من إحدى نزهاتها الصباحية تلقتها " **لينوكس** " بابتسامة ماكرة عابثة وهي تقول :

– لقد اتصل صديقك العزيز تليفونيا عدة مرات .

– ومن يكون صديقي العزيز هذا .. ؟

– صديق جديد .. سكرتير السيد " **رافيوس فان ألدن** " . يبدو أنك أصبحت محطمة القلوب .. فلدينا أولا " **ديريك كيترنج** " ، والآن لدينا " **كايتون** " .. ! ومن الغريب أنني أذكره تماما ، ففي خلال الحرب كان في المستشفى التي كانت أمي تشرف عليها وكنت إذ ذاك لا أعدو التاسعة .

– أكان جريحا .. ؟

– كان مصابا برصاصة في ساقه ، وحين غادر المستشفى كان يعرج عرجا خفيفا .

وجاءت الليدي "**تامبلين**" في هذه اللحظة فقالت لابنتها :

– هل أخبرت " **كاترين** " بأن الرائد " **كايتون** " سأل عنها مرارا .. ؟ إني لا أزال أذكره مع أنه مضت سنوات منذ كان في المستشفى مصابا برصاصة في ساقه . فقالت "**كاترين**" :

– ألم يذكر ما يريده مني .. ؟

– لقد سأل عما إذا كنت تحبين أن تشاركيه لعب التنس بعد ظهر اليوم.. ؟ وقالت " **لينوكس** " :

– ولقد قبلنا الدعوة نيابة عنك ، ولذلك سيمر عليك بعد الظهر ليصحبك إلى النادي . وانبرت الليدي "**تامبلين**" تقول :

– أرجو أن أقابل المليونير " **فان ألدن** " عن طريقك يا " **كاترين** " ، فإنك تعلمين ولعي بالتعرف إلى العظماء . وجاء " **كايتون** " بعد الغداء ، وصحبته " **كاترين** " في سيارته . وقال لها "**كايتون**" :

– إن الليدي "**تامبلين**" لم تتغير إلا قليلا .

– وفي أي شيء تغيرت : سلوكها أم مظهرها .. ؟

– كلاهما .. أعتقد أنها تجاوزت الأربعين ولكنها لا تزال نضرة جميلة .

– أصبت .. إنها لاتزال محتفظة بجمالها . واسترسل " **كايتون** " :

– يسرني أنك حضرت ، فسوف يكون السيد " **بوارو** " موجودا أيضا في النادي.. ترى هل تعرفينه منذ زمن طويل يا آنسة " **جراي** " .. ؟ فأجابت :

– إني لم أقابله إلا في القطار الأزرق .. فقال " **كايتون**" :

– إنه رجل عجيب ، وقدير في مهنته . إنني أذكر أنني عندما كنت في بيت الليدي " **كلانرافون** " وسرقت جواهرها ، وعجزت الشرطة عن اكتشاف السارق، طلبت منهم أن يستعينوا بـ" **هيركيول بوارو**" ، ولكنهم رفضوا واستعانوا بـ"**اسكتلانديارد** " ، ففشلت في استرداد الجواهر . واستطرد " **كايتون** " :

– لقد قام الكونت "**دي لاروش** " بعدد من أعمال الاحتيال ، وعجزت الشرطة عن توجيه الاتهام إليه أما اليوم فهو يواجه في " **بوارو** " نداً خطيراً . فقالت "**كاترين** " :

– هذا إلا إذا كان حادث القطار الأزرق مجرد سرقة عادية ، خاصة وأن لدى الكونت دليل نفي لا يدحض . فضحك " **كايتون** " قائلا :

– إن تدبير أدلة النفي أمر هين ومهما يكن فإنني لا أتمنى أبدا أن يكون "**بوارو**" في أعقابي حين يخطر لي أن أرتكب جريمة . وأغرق الاثنان في الضحك وقالت "**كاترين** " :

– صدقت، فإنه ذكي داهية . وكان " **بوارو** " هو الذي استقبلهما في النادي ، فسأله " **كايتون** " :

– لكن أين السيد " **فان ألدن** " .. ؟

– سوف نمضي إليه بعد قليل ، إنه جالس هناك في أقصى الحديقة (وأومأ إليه) .. آه .. هذا هو السيد " **كيترنج** " قادم إلينا . وأقبل عليهم " **كيترنج** " ، وكان بادي الغضب والانفعال ، وكانت تحيته الموجهة إلى " **كاترين** " فاترة جافة ، وجلسوا

يشاهدون الذين يلعبون التنس، وحاول " **بوارو** " بحديثه الطلي أن يبدد هذا الجو القاتم، وقال :

– من العجيب يا سيد " **كيترنج** " أنك تتكلم الفرنسية بلباقة وبلكنة سليمة ، وليس هذا شأن الرجل الإنجليزي . فقالت " **كاترين** " :

– تمنيت لو أني أجيد الفرنسية . ولمح " **كايتون** " مخدومه يومئ إليه فانسحب معتذرا ، ومضى إلى حيث كان السيد " **فان ألدن** " جالسا . قال " **بوارو** " وهو يتابع السكرتير ببصره :

– إنني معجب بهذا الشاب ، فما رأيك فيه يا آنسة " **جراي** " .. ؟ فقالت في بساطة :

– إنني أميل إليه كثيرا .

– وأنت يا سيد " **كيترنج** " .. ؟ وهمَّ " **ديريك** " بأن يقول شيئا ولكنه أمسك في اللحظة المناسبة ، ثم عاد يقول في تؤدة :

– إن " **كايتون** " شاب نشط يجيد عمله . وقالت " **كاترين** " :

– إنه شديد الإعجاب بك يا سيد " **بوارو** " .

وروت له بعض ما حدثها به " **كايتون** " عن " **بوارو** " ، وعن سرقة جواهر الليدي " **كلانرافون** " ، وكيف فشلت الشرطة في استردادها . وقال " **بوارو** " فجأة :

– آه .. لقد ذكرت الآن شيئا غاب عني . عندما كنت جالسة مع هذه السيدة المسكينة في القطار لا بد من أنه وقعت منك علبة سجائر من الجلد ، ولم تنتبهي للأمر. وتناول " **بوارو** " من جيبه علبة سجائر من الجلد الأزرق ، مثبت في ركن منهاحرف " ك " مصنوع من الذهب . وهزت " **كاترين** " رأسها سلبا وأجابت :

– كلا .. إنها ليست علبتي . فقال " **بوارو** " :

– لا بد من أنها إذن علبة السيدة " **كيترنج** " ، فالحرف " ك " هو الحرف الأول من اسمك واسمها ، ولذلك حسبتها علبتك؛ لأننا وجدنا في حقيبتها علبة

أخرى، وليس من المألوف أن يحمل المرء علبتين . ثم تحول إلى " **ديريك كيترنج** " فجأة وسأله :

– هل ترى أن هذه علبة زوجتك ؟ ففكر " **ديريك** " برهة ثم أجاب :

– لا أدري . . أعتقد أنها علبتها .

– لكنها ليست علبتك بكل تأكيد .

– كلا . . مطلقا . . لو أنها كانت علبتي لما وجدتموها في مقصورة زوجتي.

– لقد خطر لي أنها ربما وقعت منك عندما دخلت مقصورتها . فأجاب "**ديريك** " في غير تردد :

– ولكني لم أدخل مقصورتها قط . . . وقد سبق أن كررت هذا على الشرطة . فقال " **بوارو** " :

– آسف جدا ، ولكن هذه الآنسة قررت أنها رأتك تدخل مقصورة زوجتك.

وتطلعت " **كاترين** " إلى " **ديريك** " ، وكان وجهه قد انقلب شاحبا مصفرا، ولكنه ما لبث أن قال بعد لحظات :

– لا شك في أنك أخطأت يا آنسة " **جراي** " . . لقد عرفت من التحقيق أن مقصورتي كانت هي المجاورة لمقصورة زوجتي أو التي بعدها مباشرة ، فلا شك في أن الأمر التبس عليك فحسبتني أدخل مقصورة زوجتي في حين أنني إنما كنت داخلا إلى مقصورتي . وفي هذه اللحظة كان السيد " **فان ألدن** " وسكرتيره مقبلين عليهم ، فنهض "**ديريك** " مسرعا وهو يقول :

– يجب أن أنسحب لأنني لا أريد أن أقابله . وحيًا " **فان ألدن** " الفتاة بحرارة ، وقال لـ " **بوارو** " :

– يبدو أنك مغرم بمشاهدة التنس يا سيد " **بوارو** " . تطلع " **بوارو** " إلى "**كاترين** " و " **كايتون** " فوجدهما غارقين في الحديث، فقال في صوت منخفض:

– إنني لم أحضر إلى النادي لمجرد المتعة . . انظر إلى هذا الرجل العجوز الملتحي الطويل القامة . . إنه السيد " **بابولوس** " ، وهو يوناني الجنسية . واستطرد "**بوارو**" :

– إنه يتاجر في التحف ، وله شهرة عالمية لكن رجال الشرطة يرتابون في أمره ، ويعرفون أنه يتاجر خفية في أشياء أخرى . واسترسل " **بوارو** " :

– إنه يتاجر في الجواهر النادرة المسروقة ، ولا يبيعها إلا لأصحاب الملايين . ولبث " **فان ألدن** " صامتا ، على حين استطرد " **بوارو** " وهو ينظر إلى عيني المليونير :

– إنني أسائل نفسي : ما الذي جاء بالسيد " **بابولوس** " إلى " **نيس** " فجأة..؟ نعم .. ما السبب .. ؟ وارتسمت في أسارير " **فان ألدن** " مسحة من الحيرة وقال :

– يجب أن أعتذر إليك يا سيد " **بوارو** " . فلوّح " **بوارو** " بيده قائلا في بساطة :

– دعك من الاعتذار ، والآن أرجو أن تستمع إليّ .. لقد وضع الكونت "**دي لاروش** " تحت المراقبة ، كما فتشت الشرطة بيته في أثناء غيابه .

– وهل عثروا على شيء يفيد التحقيق .. ؟

– كلا .. كان بيته خاليا من أي شيء يدينه ، وقد تعقبته الشرطة بعد انتهاء الاستجواب إلى " **مونت كارلو** " ، ومن هناك سلك طريق " **منتون** " ، وكان محرك سيارته قويا ، فاختفى عن سيارة الشرطة التي تتعقبه . فقال " **فان ألدن** " متسائلا :

– وأنت هل تعتقد أنه استطاع في خلال هذه الدقائق أن يخفي شيئا عن الشرطة..؟

– تماما ولذلك أشرت على قاضي التحقيق أن يتحرى في مكتب البريد القائم على طريق " **منتون** " . وفعلا تبين أنه أوقف سيارته أمام مكتب البريد في طريق " **منتون** " في خلال الدقائق التي تغيب فيها عن أنظار رجال الشرطة، وأودع فيه هذه اللفافة . وتناول " **بوارو** " من جيبه لفافة صغيرة رمادية اللون واستطرد :

– دخل إلى مكتب البريد وبعث بهذا الطرد . وتساءل " **فان ألدن** " :

– لكن إلى من بعث به .. ؟

– لقد عنونه باسم نفسه على أن يحفظه بشباك البريد في أحد أحياء "**باريس**"

وهكذا يظل الطرد في مكتب البريد إلى أن يحضر صاحبه ويطلبه . فغمغم " **فان ألدن** " :

– لكن أي شيء في هذه اللفافة ..؟ وفض " **بوارو** " اللفافة ، فإذا هي تنكشف عن علبة صغيرة من الورق المقوى . ودار " **بوارو** " ببصره فيما حواليه وأيقن أن الجميع منهمكون في مراقبة مباريات التنس فأزاح غطاء العلبة قليلا ثم رده مكانه وهتف المليونير مذهولا :

– يا إلهي . . ! اليواقيت . ثم أردف بعد لحظات في تقدير وإعجاب :

– الحق أنك نابغة يا سيد " **بوارو** " . . ! فأجاب :

– بل الأمر مجرد ترتيب منطقي . وتساءل " **فان ألدن** " :

– وقبضتم بالتأكيد على الكونت ؟

– كلا . . إن لديه دليل نفي لا يرقى إليه الشك .

– وهذه اللفافة . . ؟ والعنوان المسطور بخطه . . ؟ فأجاب " **بوارو** " في اقتضاب :

– إن دليل النفي الذي أدلى به لا يزال قويا صامدا.

– لكن كيف هذا . . ؟ أبعد كل هذا يمكن أن . . . فقاطعه " **بوارو** " في رقة ولطف :

– سنتحدث عن هذا فيما بعد . . لكن أرجو أن تكتم ما سمعت مني الآن عن الناس جميعا .

- 22 -

كان السيد " **بابولوس** " تاجر التحف الشهير جالسا يتناول فطوره ، وابنته "**زيلا**" تشاطره مائدته حين دخل عليه أحد الخدم ببطاقة " **هيركيول بوارو**" . تطلع " **بابولوس** " إلى البطاقة وغمغم :

– " **هيركيول بوارو** " .. ؟ ترى ما الذي يبغيه مني .. ؟ وتبادل الأب وابنته نظرات استغراب، واستطرد الأب :

– لقد لمحته بالأمس في النادي يتفرج على التنس .

– هذا صحيح فهو أبرع شرطي سري في العالم . وأمر " **بابولوس** " خادمه بدعوة " **بوارو** " إلى الدخول . وتبادل الرجلان التحية في حرارة ومودة ، ثم انحنى "**بوارو** " أمام " **زيلا**" يحييها في رقة ، وقال :

– يؤسفني أنني حضرت مبكرا .

– إذن فأنت تتولى الآن إحدى القضايا .

– نعم .. مصرع السيدة " **كيترنج** " . فقال اليوناني وهو يشحذ ذهنه :

– السيدة " **كيترنج** " .. ؟ أظنها السيدة التي قتلت في القطار الأزرق ؟

وتناول " **بوارو** " من جيبه اللفافة الرمادية ، ففضها وألقى باليواقيت الحمراء على المنضدة . وتناول " **بابولوس** " الجواهر ففحصها ، وقال :

– إنها رائعة وعلى غاية من الجمال . فسأله " **بوارو** " :

– وكم تساوي في تقديرك ..؟ نصف مليون مثلا ..؟ فألقى تاجر التحف رأسه إلى الوراء وقال ضاحكا :

– نصف مليون مقابل جواهر زائفة .. ؟ ثم استطرد متسائلا :

– لكن أترى أنه من الفضول أن أسألك من أين جئت بها يا سيد " **بوارو**" ..؟ وأجابه " **بوارو** " :

– إنك صديق قديم فكيف أضن عليك بالرد .. ؟ لقد كانت في حوزة الكونت "**دي لاروش** " . فغمغم " **بابولوس** " في استغراب :

– حقا .. ! ومال " **بوارو** " ناحية اليوناني عبر المائدة وقال :

– اسمع يا عزيزي .. سأكشف لك أوراقي بغير مواربة .. الجواهر الأصلية سرقت من السيدة " **كيترنج** " ، ومهمتي هي اعتقال القاتل ، وليس استرداد الجواهر فهذا من شأن الشرطة .. إنني أعمل لحساب السيد " **فان ألدن** " . وكل ما أبغيه من

الجواهر هو أن تكون دليلا يرشدني إلى القاتل .. إن مسألة الجواهر لا تعنيني في شيء ... هل تفهم ما أعني يا سيد " **بابولوس** " .. ؟ وضغط " **بوارو** " على كلمات العبارة الأخيرة بحيث أدرك اليوناني المغزى الذي يهدف إليه الشرطي . واستطرد " **بوارو** " :

– ويبدو أن في " **نيس** " الآن شخصا معينا سيشتري هذه الجواهر ... أو لعله اشتراها . واستمر " **بابولوس** " يحتسي قهوته صامتا وتابع "**بوارو**" الحديث بقوله:

– وقلت في نفسي : آه ... إن صديقي " **بابولوس** " موجود الآن في "**نيس**" وهو يستطيع أن يعاونني . فأجاب اليوناني :

– إنني جئت انتجاعا للصحة . وتجاهل " **بوارو** " كلمات اليوناني واستطرد :

– وقلت في نفسي أيضا إن السيد " **بابولوس** " ذو شهرة عالمية ، يلجأ إليه الكبراء عندما يريدون التخلص من الجواهر التي ورثوها عن أسلافهم .. وقلت في نفسي أيضا إن " **جذوة النار** " وباقي المجوهرات الحمراء موجودة في " **نيس** " ، والسيد " **بابولوس** " في " **نيس** " ... فهو يعلم في أي يد هي الآن . فقال اليوناني وهو يرتشف من قدح القهوة :

– إنك تبالغ في إطرائي يا سيد " **بوارو** " . واستطرد "**بوارو**" :

– أعود فأكرر إن مسألة الجواهر لا تهمني .. إن ما أريده منك خدمة شخصية لي أنا ... صديقك القديم . إنك تذكر ما حدث منذ سبعة عشر عاما .. عندما سرقت منك جوهرة نادرة ، فجئت تستنجد بي ، وقلت لي : " إذا أنت أرجعت إليّ هذه الجوهرة كنت أسير فضلك مدى العمر " ... والآن هأنذا أطالبك برد الجميل . وتريث " **بابولوس** " برهة مفكرا ، ثم قال :

– لا أستطيع أن أفيدك بشيء عن الجواهر ، أما إذا كنت تهتم بسباق الخيل فقد أدلي إليك بمعلومات مفيدة . فقال "**بوارو**" :

– هات ما عندك إذن .

– سيجري حصان معين في سباق " **لونجشان** "، ويحسن بالمرء أن يهتم به. فأومأ " **بوارو** " برأسه قائلا :

– تماما ! تماما ..! واستطرد اليوناني :

– واسم هذا الحصان هو " **المركيز** " ... إنه حصان إنجليزي . ونهض " **بوارو** " فجأة وهو يقول :

– شكرا لك يا سيد " **بابولوس** " ... سأراهن على هذا الحصان بكل ما لديَّ من مال . وما إن انصرف " **بوارو** " حتى عرج على أحد مكاتب البريد ، وبعث إلى المفتش " **جاب** " في " **اسكتلانديارد** " في " **لندن** " ببرقية محررة بالشفرة السرية ، فإذا ما حلت رموزها كان نصها كالآتي :

" أبرق إليّ بكل ما تعرفه عن رجل مشهور باسم " **المركيز** " " .

- 23 -

في الحادية عشرة صباحا كان " **بوارو** " يطرق باب المليونير " **فان ألدن** " .

وقال " **بوارو** " :

– لقد جئت لأحدثك عن فكرة طرأت بذهني، ولكنني أريد أولا أن أستجوب الوصيفة مرة أخرى ، ترى هل استقالت . . ؟ فقال " **فان ألدن** " :

– إنها لا تزال هنا . فغمغم " **بوارو** " في عجب :

– هذا غريب .. ! وتطلع إليه " **فان ألدن** " في استغراب ، ثم ضغط الجرس يستدعي الوصيفة، وحياها " **بوارو** " في رقة ودعاها إلى الجلوس وقال :

– لقد جئت يا آنسة " **ميسون** " ؛ لألقي عليك أسئلة أخرى عنت لي عن الرجل الذي كان في القطار وشاهدته السيدة كما شاهدته أنت أيضا ... لقد عرضنا عليك الكونت "**دي لاروش** " فقلت إن من المحتمل أن يكون الرجل نفسه ولكنك غير متأكدة . ثم استطرد "**بوارو**" :

– إنك قضيت شهرين في خدمة السيدة فكم مرة رأيت فيها سيدك ... ؟
وفكرت الآنسة " **ميسون** " برهة ثم أجابت :

– أعتقد أنني لم أره إلا مرتين اثنتين .

– أكان ذلك منذ وقت بعيد أم قريب .. ؟

– لقد حضر مرة إلى بيتها في شارع "**كيرزون**" ، وكان واقفا في البهو ، فرأيته وأنا في الطابق الثاني من فوق سياج الدرج . والمرة الثانية كنت في إحدى الحدائق مع الخادمة " **أني** " ، فأشارت إلى رجل يسير مع سيدة أجنبية وقالت لي إن هذا هو السيد " **كيترنغ** " . وقال " **بوارو** " :

– و الآن أعبريني سمعك يا آنسة " **ميسون** " ... الرجل الذي رأيته يتحدث إلى سيدتك في محطة " **ليون** " أنَّى لك أن تتأكدي أنه لم يكن هو سيدك ، ما دمت لم تلمحيه إلا مرتين .. ؟ واستطرد "**بوارو**" :

– إنك عرفت أن سيدك كان في القطار نفسه، فلم لا يكون هو نفسه الرجل الذي كان يسير في الممشى .. ؟

– ولكن السيد الذي كان يتحدث إلى سيدتي لا بد من أن يكون قد أقبل من رصيف المحطة ، فإنه لم يكن ليرتدي ملابس السفر . وكان مرتديا المعطف والقبعة.

– أرجوك يا آنسة " **ميسون** " أن تفكري معي قليلا ... وصل القطار إلى محطة " **ليون** " ، وعادة ينزل كثير من الركاب إلى الرصيف ، ويتمشون عليه قليلا، وكانت سيدتك تنوي أن تفعل ذلك ، فمن الطبيعي أن تلبس معطفها الفرو.

– هذا صحيح يا سيدي .

– إذن فلمَ لا يفعل سيدك مثلها ويرتدي معطفه .. ؟ إن القطار دافئ ، أما رصيف المحطة فجوه بارد ، فليس بالأمر الشاذ أن يرتدي معطفه وقبعته وهو خارج يتمشى على الرصيف . وبينما هو يتمشى لمح زوجته في إحدى المقاصير ، ولم يكن ليعرف من قبل أنها مسافرة في القطار نفسه، فمن الطبيعي إذن أن يعود إلى القطار ويتجه إلى مقصورتها ، ولذلك دهشت عند رؤيته كما قررت أنت ، ثم

أسرعت وأغلقت الباب الفاصل بين مقصورتها ومقصورتك ، فقد يكون حديثهما متسما بالسرية . وفكرت الوصيفة برهة طويلة ، تدير في رأسها ما سمعته من "**بوارو** " ثم قالت:

– قد يكون الأمر كذلك يا سيدي ، فهذه الفكرة لم تخطر ببالي . . . ولذلك ظننت أنه قادم من خارج القطار حين رأيته مرتديا معطفه وقبعته . . . ثم إن لسيدي قوام الرجل نفسه . . . نعم . . ربما كان الرجل الذي تحدث إلى سيدتي هو السيد " **كيترنج** " نفسه . وأخرج " **بوارو** " من جيبه علبة سجائر من الجلد .

– أهذه علبة سيدتك . . ؟

– كلا يا سيدي . . إلا إذا . . . . إلا إذا . وفكرت برهة ثم استطردت :

– أعتقد أن السيدة اشترت هذه العلبة لتهديها إلى السيد "**كيترنج**" ، ولكني لا أعرف إن كانت قد قدمتها إليه أم لا . وشكرها " **بوارو** " وصرفها . وسأله " **فان ألدن**" :

– إن كل القرائن تشير إلى أن الكونت "**دي لاروش** " هو الجاني ، ويكفي دليلا أن اليواقيت الحمراء كانت في حوزته . فابتسم "**بوارو** " وقال :

– لكني لم أقل لك شيئا من هذا القبيل . فحملق إليه " **فان ألدن** " في دهشة وقال :

– واللفافة الرمادية . . ؟ واليواقيت الحمراء التي كانت في العلبة وأريتها لي بالأمس . . ؟ فقال " **بوارو** " وعلى وجهه ابتسامة ماكرة :

– إنني لم أقل قط إن هذه اليواقيت هي التي سرقت من ابنتك . . ! إن ما أريته لك بالأمس لم يكن إلا يواقيت مقلدة بإتقان ، ولكنها لم تكن قط الجواهر الأصلية المسروقة .

- 24 -

مرت بضع ثوان قبل أن يدرك " **فان ألدن** " المغزى الحقيقي الذي ينطوي تحت كلمات " **بوارو** " .

– أتريد أن تقول إن ما أريته لي كان جواهر مقلدة .. ؟

– تماما ... ولكنها مقلدة بإتقان .

– لكنك تعتقد أن الكونت كان ينوي أن يسرق الجواهر .. ؟

– هذا لا شك فيه ، لكن أرجو أن تستمع إليّ ... سأشرح لك الموضوع كما أتصوره . وبعد سكتة قصيرة استطرد " **بوارو** " قائلا :

– لقد عرف الكونت "**دي لاروش** " أنك تسعى وراء شراء ياقوتة " **جذوة النار**" ؛ لأن الخبر كان على كل لسان في سوق الجواهر ، فبنى خطته على هذا الأساس ... زعم لابنتك أنه يضع كتابا عن الجواهر الشهيرة ، فلما عرف أنك اشتريت الجوهرة أغرى ابنتك بأن تحضرها معها وكان قد أعد جواهر مقلدة مطابقة للجواهر الأصلية ولن تكتشف ابنتك ما حدث؛ لأنها ليست خبيرة فنية، وسوف ينقضي وقت طويل قبل أن تكتشف ما جرى . وأعتقد أنها ما كانت لتشكو الكونت حتى تتفادى التشهير باسمها ؛ إذ لا شك في أنه يحتفظ لديه بالعديد من الخطابات الغرامية التي حررتها له . فقال " **فان ألدن** " مؤمنا :

– إن الصورة واضحة الآن أمام عيني ، لكن ما الذي حدث فعلا بعد ذلك..؟

فأجاب " **بوارو** " :

– الأمر واضح جدا ... لقد اقتحم الميدان شخص آخر وسرق الجواهر . وتريث "**فان ألدن** " مفكرا ، ثم سأل :

– السيد " **بوارو** " ... منذ متى كنت تشك في صهري " **ديريك كيترنج**" .. ؟

– من اللحظة الأولى ، فقد توافر له الدافع والفرصة لارتكاب الجريمة ... لقد أخذناها قضية مسلما بها منذ أول يوم – إن الرجل الذي كان في مقصورة السيدة

في "**باريس** " هو الكونت "**دي لاروش** " ، وأنا نفسي اعتقدت هذا . ثم عرفت من تحرياتي أن الرجلين متشابهان قواما وقامة ، فبَدأت تراودني أفكار جديدة . وقد علمت أيضا أن الوصيفة لم تقض في خدمة ابنتك إلا شهرين اثنين ، لمحت فيهما السيد " **كيترنج** " مرتين اثنتين ، وعلى البعد أيضا . فضلا على أن الرجل كان مرخيا قبعته على جبينه ، وكان موليا وجهه نحو النافذة . فأنَّى لها أن تعرف إن كان الرجل الذي في المقصورة هو زوج السيدة أم شخص آخر ؟ فقال " **فان ألدن**" :

– إذن فأنت تعتقد أن " **ديريك** " هو الذي قتلها .. ؟

– كلا ... إنني لم أقل هذا ... هذا أحد الاحتمالات ... ودافعه إلى القتل أنه كان مفلسا ، ووفاة زوجته سبيله الوحيد إلى الميراث الطائل .

– لكن ما الذي يدعوه إلى سرقة الجواهر ... ؟

– لتضليل الشرطة ... حتى يعتقدوا أنها مجرد سرقة عادية أقدم عليها أحد لصوص القطارات .

– لكن ما الذي فعله باليواقيت .. ؟

– هذا ما سوف يتكشف فيما بعد ... أتذكر اليوناني تاجر التحف الذي استرعيت بصرك إليه في النادي .. ؟ إنه هو الذي سيمدني بالمعلومات .

وغادر جناح المليونير الأمريكي على الفور . وحين بلغ باب الفندق رأى سيارة تقف أمام الباب ، وفي داخلها " **كاترين جراي** " ، على حين كان " **ديريك كيترنج** " واقفا بجانبها يتحدث إليها في حرارة . وبعد دقيقة أو اثنتين مضت السيارة مبتعدة ، وبقي " **ديريك** " مكانه يتابعها ببصره شاردا ، ثم هز كتفيه دلالة على عدم الاكتراث ، وندت عن صدره تنهيدة عميقة ، ثم استدار فإذا هو يجد "**هيركيول بوارو** " واقفا بجانبه ، فلم يملك إلا أن يجفل للمفاجأة . وقال "**ديريك** " في نبرة من لا يبالي :

– أليست فتاة لطيفة .. ؟ وأجابه " **بوارو** " :

– إنها لكذلك حقا . ثم أردف في كلمات بطيئة متمهلة :

– أتسمح لرجل عجوز مثلي بأن يسديك النصح ، دون أن تعتبر تدخله هذا فضولا وقحاً .. ؟ إن لديكم – يا معشر الإنجليز – مثلا يقول : " لا تقدم على حب جديد إلا إذا تخلصت من الحب القديم " . فاستدار إليه " **ديريك** " وقال في غضب :

– ما الذي تعنيه بحق السماء .. ؟

– الذي أعنيه هو أنه يكفي أن تدير رأسك إلى الوراء قليلا لترى سيدة أخرى تنتظرك في سيارتها . فالتفت " **ديريك** " خلفه وغمغم ساخطا :

– " **ميريل** " .. ؟ ألا تبا لها ! عليها اللعنة ! ما الذي تبغيه مني..؟! إنني فصَمْتُ علاقتي بها . فقال " **بوارو** " في بساطة وهدوء :

– أنت فصمت علاقتك بها ، لكن أتراها هي فصمت علاقتها بك .. ؟ فأطلق " **ديريك كيترنج** " ضحكة هازئة وقال :

– وهل ترضى من كانت مثلها أن تقطع علاقتها بمليونين من الجنيهات ..؟ وقفل " **بوارو** " عائدا إلى بيته . ودق جرس التليفون ، وكان " **كايتون** " هو المتكلم قائلا :

– إن السيد " **فان ألدن** " يريد أن يتحدث إلى السيد " **هيركيول بوارو** " .

وقال " **فان ألدن** " يخاطب " **بوارو** " :

– لقد أردت أن أبلغك أن الآنسة " **ميسون** " جاءت إليّ الآن وقالت إنها أصبحت على يقين بأن الرجل الذي رأته في القطار كان هو " **ديريك كيترنج** " بنفسه. فرد " **بوارو** " :

– شكرا يا سيد " **فان ألدن** " . ورد السماعة مكانها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة .

- 25 -

عندما مر "**ديريك كيترنج**" بجوار سيارة "**ميريل**" نادته قائلة:

- "**ديريك**"... يجب أن أتحدث إليك لحظة. وكان رده أن رفع قبعته يحييها، وتابع طريقه دون أن يعيرها التفاتا. وما كاد يصل إلى فندقه حتى أقبل عليه كاتب الاستعلامات يخطره بأن في انتظاره في الصالون الصغير سيدا لم يشأ أن يذكر اسمه. .وقف الزائر في احترام، وانحنى أمام "**ديريك**" يحييه. وعرف فيه "**ديريك**" على الفور الكونت "**دي لاروش**"، وإن كان لم يره من قبل إلا مرة واحدة، قال له:

-إنك الكونت "**لاروش**"، أليس كذلك...؟ أخشى أن تكون قد ضيعت وقتك عبثا في الحضور إليَّ. فابتسم الكونت في رقة وقال:

- لا أظن. وود "**ديريك**" في هذه اللحظة لو أنه لكم الكونت فهشم أسنانه، بيد أنه تماسك وقال في خشونة:

- ما الذي تريد..؟ فقال الكونت:

- أرجو أولا يا سيدي أن تقبل عزائي. فقال "**ديريك**" في غضب:

- إن وقاحتك تغريني بأن أقذف بك من النافذة. واكتفى الكونت بأن قال في هدوء ودون مبالاة:

- ما كنت لأحسب قط أن الإنجليز سريعو الانفعال، ومع ذلك فلنطرح هذا جانبا ولنتحدث فيما جئت من أجله. وتطلع الكونت "**دي لاروش**" إلى السقف وقال:

-إنك ورثت الآن قدرا ضخما من المال.

-وما الذي يعنيك أنت من هذا بحق السماء..؟ ورفع الكونت قامته وقال في ثبات:

-إن اسمي الآن مضغة في الأفواه.. إنني متهم بارتكاب جريمة القتل.. فأجابه "**ديريك**" في برود:

-لست أنا الذي اتهمتك على أية حال. فقال الكونت:

-إني بريء من هذه التهمة يا سيدي، وأقسم على هذا وليس هذا فقط، بل إنني أحتاج بشدة إلى المال. ونهض "**ديريك كيترنج**" واقفا وقال:

-هذا هو ما كنت أترقب منك أن تذكره أيها المبتز الحقير.. إنني لن أعطيك بنسا واحدا.. إنك تريد أن تشهِّر بزوجتي وأن تعلن على رؤوس الأشهاد أنك كنت على علاقة بها، حسنا.. لقد ماتت زوجتي، وأية فضيحة لن تضيرها الآن في شيء، وإذا كانت في حماقتها قد كتبت لك بضعة خطابات غرامية واشتريتها منك الآن، فلا شك في أنك ستحتفظ منها بخطابين أو ثلاثة تهددني بها فيما بعد لتبتز مني مالا جديدا. واستطرد "**ديريك كيترنج**" في نبرة غاضبة:

- والآن استمع إليَّ يا كونت... إن الابتزاز جريمة حقيرة، وردي الوحيد عليك هو: طاب يومك يا سيدي. واستدار "**ديريك**" وهو يهم بمغادرة القاعة بيد أن الكونت لاحقه بقوله:

-إنك مخطئ في هذا يا سيدي... إني ما حضرت إليك لأبتز منك مالا، فإني من طبقة النبلاء. وأطلق "**ديريك**" ضحكة حافلة بالسخرية. واستطرد الكونت في اعتداد:

-أية خطابات قد تكتبها إليَّ إحدى السيدات لابد من أن أحتفظ بها مقدسة مصونة. ثم استمر يقول:

-إنني إنما حضرت إليك لغرض آخر. قلت لك إنني في مسيس الحاجة إلى المال، وضميري قد يغريني بأن أمضي إلى الشرطة بمعلومات معينة. فارتد "**ديريك**" راجعا إليه وهو يتساءل:

-ما الذي تعنيه..؟ وتلاعبت على شفتي الكونت ابتسامته الرقيقة المعهودة وقال:

-إن لديك دافعا قويا للقتل.. إنك سوف ترث بضعة ملايين.. فبرقت عينا "**ديريك**" بالسخرية وقال:

-أهذا كل ما لديك..؟ أهذا كل ما تفتق عنه ذهنك؟

– لو أن الأمر كذلك لما جئت إليك يا سيدي.. إن لديَّ معلومات حاسمة ولا أحسبك ترضى لنفسك أن تعتقل وتحاكم. فقال "**ديريك**" في غضب:

–أتراك تهددني..؟ إنني لا أحفل بمزاعمك الكاذبة.

–ولكنها ليست مزاعم كاذبة يا سيدي.. إن معلوماتي مستمدة من سيدة معينة، وهي التي تحتفظ لديها بالدليل الحاسم على أنك القاتل. فقال "**ديريك**" في استغراب:

– ومن تكون هذه السيدة...؟

– الآنسة "**ميريل**" الراقصة الشهيرة. وأجفل "**ديريك**" كأنما تلقى ضربة على رأسه، وغمغم في دهشة:

–"**ميريل**"...! واغتنم الكونت الفرصة لمزيد من الضغط وقال:

– مائة ألف فرنك تكفي لكي ألجم لساني وأسكت ضميري. وتماسك "**ديريك**" واسترد ثباته وقال في هدوء:

–أتريد جوابي الآن...؟ فأجاب الكونت:

–هذا إذا تفضلت.

–إذن إليك الرد.. اذهب إلى الجحيم. واستدار "**ديريك كيترنج**" وغادر الغرفة مسرعا. وما إن خرج إلى الطريق حتى استدعى سيارة أجرة واستقلها إلى الفندق الذي تنزل فيه "**ميريل**"، وبعث إليها يخطرها برغبته في مقابلتها. استقبلته "**ميريل**" في حرارة متدفقة باسطة إليه ذراعيها لتضمه إلى صدرها وهي تقول:

–كنت أتوقع هذا... كنت أعرف أنك سترجع إليَّ.. بيد أنه نحى الذراعين الممدودتين وقال لها في خشونة:

– لِمَ بعثت إليَّ الكونت "**دي لاروش**"..؟ وتطلعت إليه في دهشة بدت له أصيلة صادقة وقالت:

–أنا..؟ أنا بعثت إليك الكونت..؟ ما الذي يدعوني إلى هذا..؟ فأجابها في جفوة:

–السبب واضح.. للابتزاز. وللمرة الثانية حملقت إليه دهشة، ثم ابتسمت وقالت في هدوء:

–كان يجب أن أتوقع هذا منه.. إنه من ذلك الطراز الذي لا يحجم عن مثل هذه الفعلة.. ولكني لم أبعث به إليك. وتأملها في إمعان كأنما يريد أن ينفذ إلى خبايا خواطرها، واستطردت "**ميريل**":

– إنك تذكر بالتأكيد ما حدث.. كنت ثائرة مهتاجة إلى حد الجنون عندما كاشفتني بأنك اعتزمت أن تقطع علاقتك بي، فأردت أن أثأر منك، فما كان مني إلا أن ذهبت إلى الكونت "**دي لاروش**"، وسألته أن يمضي إلى الشرطة وأن يقول لهم كذا وكذا، لكن لا تخش شيئا يا "**ديريك**"، فإني لم أفض إليه بالدليل، وليس في وسع الشرطة أن تتخذ أي إجراء ضدك إلا إذا أنا تكلمت.. لكن لن أتكلم بالتأكيد مادمت قد عدت إليَّ. ودنت منه، وتطلعت إليه بعينين تذوبان رقة وعذوبة. وأسندت رأسها إلى كتفه، بيد أنه أزاحها بعيدا عنه فوقفت تتطلع إليه وصدرها ينتفض انفعالا لفرط غضبها، وقالت له:

– "**ديريك**".. كن على حذر.. إنك رجعت إليَّ، أليس كذلك..؟ فأجابها في حزم وإصرار:

– إنني لن أرجع إليك أبدا. واختلج جفناها، وبدت كالقطة المتوحشة المتحفزة، وقالت:

–إذن فهناك امرأة أخرى..؟ تلك التي تناولت الغداء معها منذ أيام، أليس كذلك..؟ لم يشأ "**ديريك كيترنج**" أن يموه عليها أو يكذبها القول، فأجاب:

–إنني أنوي أن أطلب من هذه السيدة أن تتزوجني. فقالت في انفعال:

–وهل تعتقد أني أستطيع أن أتحمل هذا..؟ اسمع يا "**ديريك**".. أتذكر ذلك الحديث الذي جرى بيننا في "**لندن**"..؟ إنك قلت لي حينئذ "إن الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تنقذني هي موت زوجتي"، ثم قلت "إنه مما يؤسف له أن صحتها جيدة"، ثم انبثقت في ذهنك فكرة وقوع حادث لها يودي بحياتها. فقال

"**ديريك**" في سخرية لاذعة:

–وأحسب أن تلك هي القصة التي أفضيت بها إلى الكونت..؟ فضحكت "**ميريل**" وقالت:

–أتحسبني حمقاء إلى هذا الحد؟ إن رجال الشرطة لا يمكن أن يتخذوا أي إجراء استنادا إلى قصة واهية كهذه.. أنا الوحيدة التي تستطيع أن تقدم ضدك الدليل الحاسم. إنك سترجع إليَّ.. ستعود إلى عشك القديم، وعندها لن تنفرج شفتاي عن كلمة واحدة. فتساءل:

–ما الذي تعنينه..؟ فقالت ضاحكة:

–أتحسب أن أحدا لم يرك..؟ فتأملها بعينين تستفسران عما تعني، فقالت:

–لقد رأيتك وأنت تخرج من مقصورة زوجتك في القطار الأزرق قبيل دخول القطار إلى محطة "**ليون**".. بل إنني أعرف أكثر من هذا... أعرف أنها كانت جثة هامدة عند مغادرتك مقصورتها. وحملق إليها "**ديريك**"، ثم استدار ليغادر الغرفة في خطوات متخاذلة متمهلة، وهو يترنح كمن به لمسة من السكر.

- 26 -

جاءت "**كاترين**" إلى "**مونت كارلو**" في رفقة مضيفتها السيدة "**تامبلين**"، وما كادتا تحلان بالفندق حتى التقتا بالرائد "**كايتون**" سكرتير المليونير "**فان ألدن**"، ومضت السيدة "**تامبلين**" تلقي إلى "**كايتون**" ألوانا من الإطراء والثناء؛ أدركت "**كاترين**" بذكائها المتوقد أنها متسمة بالمبالغة. ورآهم "**بوارو**" يتجولون في حديقة الفندق، فانسحبت "**كاترين**" مستأذنة، ومضت إلى "**بوارو**" فرحب بها ودعاها إلى الجلوس. وقال لها "**بوارو**":

– أرأيت كيف صدقت نبوءتي..؟ ألم أقل لك إن من المحتمل أن تجدي نفسك

على غير توقع غارقة في مغامرة بوليسية..؟ فقالت "**كاترين**" تتحداه:

– ولكنني لست غارقة في هذه المغامرة كما تريد أن تصور الأمر.. كل ما هنالك أنني تبادلت الحديث مع السيدة "**كيترنج**"، وعند هذا ينتهي كل شيء. ولم تعد لي بعد ذلك صلة بالقضية. فقال "**بوارو**" ضاحكا:

– من يدري..! من يدري..! فتمعنت فيه "**كاترين**" بنظرة ثاقبة وقالت:

– يبدو أنك تريد أن تفضي إليّ بشيء يدور في ذهنك، فهلا عمدت إلى الصراحة وتخليت عن هذه العبارات الغامضة الملفوفة؟ فقال:

– إذن فلنعمِد إلى الصراحة.. ما رأيك في الرائد "**كايتون**"...؟ فأجابت في حماس دون تردد:

– إنني أميل إليه كثيرا.. إنه شاب لطيف.. وتنهد "**بوارو**" تنهدا من أعماق صدره فسألته "**كاترين**":

– ما الذي جرى..؟ ولِمَ تتنهد؟

– لو أنك اكتفيت بأن قلت في بساطة "إنه شاب لطيف".. أعني لو أنك أجبت عن سؤالي لكنت أهنأ بالا.. فقالت الفتاة في استغراب وهي تتفرس فيه بعينين تستفسران:

–في الحقيقة، إني غير فاهمة ما ترمي إليه. فتأملها "**بوارو**" لحظة ثم قال:

–إنني رجل عجوز تقدمت بي الأعوام، وفي بعض الأحيان ألتقي بشخص ما، وأحس نحوه ميلا يجعلني شديد الاهتمام بأن أراه سعيدا.. هذا كل ما هنالك. وحملقت "**كاترين**" إلى وجه "**بوارو**"، ولبثت لائذة بالصمت. وعاد "**بوارو**" إلى الحديث بأن سألها عن "**ديريك كيترنج**":

–لقد وجهت إليك سؤالا عن الرائد "**كايتون**" والآن دعيني أسألك عن "**ديريك كيترنج**" ترى هل تميلين إليه؟ فأجابت:

–إني لا أكاد أعرفه.

–ليس هذا ردا على سؤالي.

–بل أظن أنه رد كافٍ. وتأملها "**بوارو**" برهة ثم قال:

–لعلك على حق يا آنسة.. إنني أعرف أمرين بحكم خبرتي: أولهما أن الرجل الفاضل قد يدمره حبه لامرأة سيئة السمعة، وثانيهما أن الرجل سيئ السمعة قد يدمره حبه لامرأة فاضلة. وتريثت "**كاترين**" برهة مفكرة ثم قالت:

–يبدو أنك تريد أن تحذرني.. لكن ممن تريد تحذيري..؟

–إنك لن تبيحي لي أن أنفذ إلى خفايا قلبك، ولذلك حسبي أن أقول إن لبعض الرجال فتنة تذهب بعقول النساء. فسألته:

–لعلك تعني الكونت "**دي لاروش**"..؟

–بل أعني سواه.. فثمة رجال أشد خطرا من الكونت. ثم أردف:

–إنني أستطيع أن أدرك يا آنسة أنك مفتونة، ولكنك لم تقعي بعد في براثن الحب.. ربما استطعت أن تحبي لصا، ولكنك لن تحبي أبدا قاتلا سفاحا. وما إن انفرجت شفتاه عن هذه الكلمات حتى هب واقفا واستدار منصرفا، تاركا "**كاترين**" جالسة وحدها، وهي تند عن صدرها تنهيدة عميقة تناهت إلى سمعه وهو يبتعد، ولكنه كان سعيدا فقد نفض عن صدره ما كان يؤرقه، وما من شك في أنها الآن تدير في رأسها ما يرمي إليه بهذه الكلمات. واتفق في هذه اللحظة أن كان "**ديريك كيترنج**" خارجا من الكازينو فرأى "**كاترين**" جالسة وحدها تصطلي بدفء الشمس، فأقبل عليها واتخذ مقعده بجانبها وهو يقول:

–كنت ألعب القمار، ولكنني خسرت كل شيء، خسرت كل ما معي. فقالت له:

–يبدو لي أنك كنت مقامرا طوال حياتك، إن روح المغامرة تسري في دمك. فأجاب:

–إنك لعلى حق، إن المرء ليسعد أحيانا بأن يخاطر بكل شيء مقابل شيء واحد. وران عليهما الصمت برهة قصيرة ثم قال "**ديريك**" فجأة:

–إنني أريد أن أتحدث إليك في أمر مهم. ثمة ألسنة تردد أنني أنا الذي قتلت

زوجتي، أرجوك لاتقاطعيني. إنها بالتأكيد فكرة سخيفة.. وأمسك لحظة ثم استرسل يقول:

-إني لا أحب أن أموه عليك أو أخدعك، وإنما سأصارحك بكل ما في نفسي. قبل أن ألتقي بـ"**روث فان ألدن**" لم يكن في نيتي إلا أن أتزوج فتاة ثرية. وقد وجدت فيها صيدا طيبا فاقترنت بها، وكنت أعرف أنها واقعة في هوى رجل آخر، ولكني لم أحفل بهذا؛ فقد كانت الصفقة في رأيي رابحة؛ أنا أسعى إلى المال، وهي تسعى إلى امتلاك القصر الضخم الذي ورثته عن أسلافي وامتلاك لقب الكونت بموجبه، بيد أن المشكلة نشأت عندما توهمت "**روث**" أنها اشترتني بأموالها فنشب بيننا خلاف شديد. وهجرت البيت، وقبيل موتها استدعاني حماي وصارحني بأن ابنته ستطلب الطلاق، ونزل عليَّ قوله كالصاعقة؛ لأنني مفلس لا أملك شيئا. واستطرد قائلا:

-وبعد ذلك قُتلت "**روث**"، وكان موتها نعمة وبركة عليَّ.. أرجوك.. لا تتقززي من كلامي، فقد قلت لك إنني أنوي أن أصارحك بكل ما يدور في خاطري. وبعد لحظات استطرد قائلا في نبرة حادة رصينة:

-والآن ثمة شيء آخر، منذ اللحظة التي رأيتك فيها أدركت على الفور أنك المرأة الوحيدة التي أحببتها من أعماق قلبي. إنني أعلم ما سوف يقولون لك عني.. إنني رجل غريب، وإن سمعتي سيئة إلى أقصى حد، وإنني قتلت زوجتي، ولكني أقسم أنني بريء. لم أمسسْ شعرة في رأسها، أما سلوكي العربيد فقد انقضى أمره، وبدأت صفحة نقية ناصعة البياض. وتطلع إلى عينيها وهو يقول:

-أعلم أنني كذبت عليك منذ أيام عندما أنكرت أنني دخلت إلى مقصورة زوجتي في القطار. نعم، إنني أنا الذي دخلت مقصورتها. فغمغمت "**كاترين**" في صوت خافت:

-حقا..؟ واستطرد "**ديريك كيترنج**":

-لقد أخبرتني "**ميريل**" بأن زوجتي ستقابل الكونت "**دي لاروش**" في

"**باريس**"، ولذلك قررت أن أقابلها في القطار، فاقتحمت مقصورتها لأندد بسلوكها المنحرف. وبعد سكتة قصيرة تابع حديثه قائلا:

-كانت "**روث**" راقدة في فراشها مستغرقة في النوم، ووجهها ناحية الحائط. وفجأة أحجمت عن إيقاظها، إذ أية فائدة في أن نردد ما سبق أن تحدثنا فيه عشرات المرات من قبل فاستدرت خارجا. وسألته "**كاترين**":

-ولِمَ كذبت على الشرطة وأخفيت عنهم هذه الواقعة..؟

-لأنني أعلم أن الشرطة يبحثون قبل أي شيء عن الدافع إلى القتل، فإذا اعترفت بأنني دخلت مقصورتها فلن يترددوا لحظة في توجيه التهمة إليَّ؛ لأن الدافع متوافر لديَّ؛ الإرث الذي سأتلقاه عنها. ومن جديد خيم عليهما الصمت. وبغتة قال "**ديريك**":

- "**كاترين**".. إنك تعلمين أنني أحبك فهل يا ترى يعنيك أمري؟ فأجابت:

-لا أدري. وتضرَّج وجهها احمرارا، وتلفتت فيما حولها وقد اعترتها الحيرة والارتباك فلمحت الرائد "**كايتون**" مقبلا عليهما، وهو يحجل قليلا بسبب الرصاصة التي أصابت ساقه أيام الحرب، فهشت له؛ إذ وجدت فيه الترحيب بها فما كان من "**ديريك**" إلا أن انصرف مزمجرا مغيظا محتجا بأن السيدة "**تامبلين**" في انتظاره. وبوغتت "**كاترين**" للمرة الثانية حين سمعت الرائد "**كايتون**" يقول لها:

- منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها ألفيت نفسي هائما بك. بالتأكيد ما كان ينبغي لي أن أعجل بطرق هذا الموضوع، ولكن السيد "**فان ألدن**" قد يسافر في خلال يوم أو يومين، فلا تتاح لي فرصة أحدثك فيها بما في نفسي. إنني أحبك، وقد أردت أن تعرفي هذا قبل رحيلي. أرجوك، لا تردي الآن، لكن تريثي وفكري في الأمر. ولاذ بالصمت لحظة خاطفة، ثم أردف في رقة ودعة:

-وثمة شيء آخر، إذا حدث أن واجهتك مشكلة فاعلمي أنه يسعدني أن أخف إليك لأساندك. ثم أخذ يدها بين راحتيه، وضغطها في حرارة، ثم تخلى عنها، وانصرف مسرعا كما جاء من قبل مسرعا. وجلست "**كاترين**" ساهمة شاردة،

وخواطرها تتردد في حيرة وارتباك بين الرجلين: "**ديريك كيترنج**" والرائد "**ريتشارد كايتون**".

وفجأة خيل إليها أن شبحا برز إليها من وراء الأشجار. شبح القتيلة "**روث فان ألدن**"...! تجسد الشبح أمامها، وأخذ يحرك شفتيه، كأنما يريد أن يقول شيئا، فما الذي كان ينبغي أن يقول..؟ نعم، ما الذي كان يريد الشبح أن يقوله..؟

- 27 -

ما إن غادر الرائد "**كايتون**" "**كاترين**" حتى مضى يبحث عن "**هيركيول بوارو**"، فوجده في كازينو القمار يتسلى بمشاهدة اللاعبين وقال له:

-إنني أريد أن أتحدث إليك يا سيد "**بوارو**". وخرجا إلى الحديقة يتجولان في أرجائها، وقال "**كايتون**":

-إنني أحب "**الريفييرا**"، وقد زرتها من قبل منذ اثنتي عشرة سنة عندما نقلت في أثناء الحرب جريحا إلى مستشفى السيدة "**تامبلين**". وتوقف "**كايتون**" فجأة عن متابعة السير، واستدار إلى "**بوارو**" قائلا:

-إنك بالتأكيد سمعت عن الراقصة "**ميريل**"..؟ فأجاب:

-بالتأكيد، ومن المعروف أنها صديقة "**ديريك كيترنج**".

-هي بعينها، ولذلك يمقتها السيد "**فان ألدن**" مقتا شديدا. ولقد بعثت إليه "**ميريل**" بخطاب تسأله أن يحدد موعدا لمقابلتها، فأمرني بأن أرد عليها معتذرا. ولكنها جاءت إلى الفندق صباح اليوم، وأرسلت إليه بطاقتها تلح في مقابلته. فقال "**بوارو**":

-هذه حقا معلومات طريفة. واستطرد "**كايتون**":

- وهاج السيد "**فان ألدن**" غضبا، وأمرني بأن أخطرها بأنه يرفض مقابلتها رفضا باتًّا، وكان هذا الرفض من جانبه تصرفا متسما بالرعونة. لقد قلت في نفسي إن

هذه المرأة كانت في القطار الأزرق ليلة مصرع السيدة "**كيترنج**"، فلعلها تعرف شيئا مهمًّا. الا تشاطرني رأيي يا سيد "**بوارو**"..؟ فأجابه "**بوارو**":

–تماما، إن منطقك سليم. واستطرد "**كايتون**":

–ولهذا تسللت خفية عن السيد "**فان ألدن**" ونزلت لمقابلتها؛ لأعرف ما تبغيه.

– حسنا فعلت. وما الذي عرفته منها..؟

–كانت الصعوبة التي واجهتني هي أنها كانت مصرة على مقابلة السيد "**فان ألدن**" شخصيا، فكذبت عليها وأخبرتها بأنه مريض اليوم وبأنه سوف يقابلها بعد بضعة أيام، وأنني على استعداد لأن أنقل إليه رسالتها، ولكنها أبت أن تفضي إليَّ بكلمة واحدة، وانصرفت غاضبة. ولكني موقن– يا سيد "**بوارو**"– أن هذه المرأة تعرف شيئا مهمًّا. فقال "**بوارو**":

–هذا محتمل جداًّ. لكن أتعرف أين تقيم؟ وذكر له "**كايتون**" اسم الفندق الذي تنزل فيه الراقصة "**ميريل**" فقال "**بوارو**":

–إذن هيا بنا نذهب إليها معا. فقال "**كايتون**" معترضا:

–والسيد "**فان ألدن**"..؟ هذا التصرف مني سيغضبه. فأجاب "**بوارو**" في هدوء:

–السيد "**فان ألدن**" أحمق عنيد، وأنا في عملي لا أخضع لنزوات الحمقى العنيدين. ثم أردف:

–إنني أنا الذي سأتولى الحديث، وسأخبر "**ميريل**" بأنك مفوض بأن تعمل باسم السيد "**فان ألدن**" فلا تعترض على قولي. وبعد فترة وجيزة كانا في جناح الراقصة التي قالت:

–ولِمَ لم يحضر بنفسه لمقابلتي؟ فقال "**بوارو**":

–إننا هنا بالنيابة عنه، وقد فوضني أنا وسكرتيره الرائد "**كايتون**" بأن نتصرف باسمه، إلا إذا أردت أن تنتظري أسبوعا أو أسبوعين حتى يشفى من الإنفلونزا التي نزلت به. فصاحت الراقصة في انفعال وغضب:

–حسنا، سأتكلم أيها السيدان، سأقول كل ما عندي، لقد صبرت وكتمت ما بصدري، ولكنه أهانني. نعم أهانني، و"**ميريل**" لا يمكن أن ترضى بأن تهان. يهجرني ويقطع صلته بي كأني قفاز سئمه فقذف به إلى صندوق القمامة. واشتد هياجها، وانثالت الكلمات من فمها ساخطة متذمرة، ومضت تذرع الغرفة في خطوات غاضبة ومرت بجانب إحدى الموائد، فتناولت قدحا ورمت به على الأرض، فتحطم وتناثرت شظاياه فهتف "**بوارو**":

–هذا رائع، إن الآنسة تبدو عصبية. فقالت "**ميريل**":

–إنني فنانة، وجميع الفنانين عصبيون. لقد حذرت "**ديريك**" وأنذرته، ولكنه لم يستمع إليَّ. ثم أردفت تتساءل:

–هل صحيح أنه ينوي أن يتزوج بهذه الفتاة الإنجليزية..؟ فأجابها "**بوارو**":

–لقد قيل لي إنه يهيم بها غراما. وتحولت "**ميريل**" إلى الرجلين وصرخت قائلة:

–إنه هو الذي قتل زوجته! هأنذي قد أفضيت إليكما بما في صدري. لقد أخبرني بما ينوي أن يفعل قبل أن يقدم على ارتكاب جريمته. فسألها "**بوارو**":

– لكن مجرد القول لا يكفي. إن الشرطة تطلب الدليل دائما. فقالت بانفعال:

– لقد رأيته في تلك الليلة وهو يخرج من مقصورتها. فسألها "**بوارو**" في اهتمام:

– ومتى كان ذلك..؟

– قبيل أن يصل القطار إلى محطة "**ليون**".

– هل يمكن أن تقسمي على هذه الشهادة..؟

– نعم، إني على استعداد لأن أقسم. وران السكون على الجميع هنيهة، وكان صدر "**ميريل**" يعلو ويهبط لفرط انفعالها فقال لها "**بوارو**":

– إنك تدركين بالتأكيد يا آنسة مدى خطورة هذه الشهادة.

– نعم أدرك خطورتها.

– يجب ألا نضيع لحظة واحدة، فهل تفضلت بمرافقتنا إلى قاضي التحقيق؟ وبعد

أقل من عشرين دقيقة كان الثلاثة - "**بوارو**" و"**كايتون**" و"**ميريل**" - في حجرة قاضي التحقيق ومفتش الشرطة.

وعادت "**ميريل**" تسرد قصتها بالألفاظ نفسها تقريبا، وهي لاتزال ثائرة عصبية المزاج. وفي تمهل قال لها السيد "**كاريدج**" قاضي التحقيق وهو يحدجها بنظرات فاحصة:

-أتريدين منا أن نصدق أن السيد "**كيترنج**" كان يفخر أمامك بجريمته مسبقا قبل أن يرتكبها..؟

-تماما، هذا هو ما حدث. كان يقول لي إن صحتها جيدة، وإنها إن ماتت في الوقت الحاضر فلن يكون ذلك إلا في حادث يقع لها، وقال أيضا إنه سيدبر كل شيء. وقال لها قاضي التحقيق في نبرة من الصرامة:

-هل تدركين يا آنسة أنك بهذه الشهادة تضعين نفسك موضع المشاركة في الجريمة..؟ فهتفت:

-أنا شريكته في الجريمة..! إنني لم آخذ حديثه مأخذ الجد مطلقا؛ كانت كلماته في رأيي مجرد هذر ومبالغة سخيفة. وصمت قاضي التحقيق هنيهة، ثم سألها:

-اسمحي لي يا آنسة بأن أسألك عما حملك على فسخ عقد عملك في "**لندن**" والحضور إلى "**الريفييرا**"..؟ فقالت ونظراتها حالمة هائمة:

-لقد أردت أن أكون بجانب الرجل الذي أحبه. وانبرى "**بوارو**" يسألها:

-أكان حضورك إذن إليّ ليس بناء على رغبة السيد "**كيترنج**"..؟ وخامرها التردد في الإجابة عن هذا السؤال، وأخيرا أجابت في استعلاء:

-إنني اعتدت يا سيدي أن أفعل ما يحلو لي. لم يكن هذا- في الواقع- ردا على سؤال "**بوارو**" ومع ذلك لاذ الرجال الثلاثة بالصمت. وسألها قاضي التحقيق:

- وكيف اقتنعت بأن السيد "**كيترنج**" هو القاتل..؟

- لقد رأيته خارجا من مقصورة زوجته قبيل وصول القطار إلى محطة "**ليون**". وكانت سحنته منقلبة بشعة، وإن كنت لم أدرك إذ ذاك سببا لهذا. ثم استطردت:

–ولكني أدركت السبب حين عرفت فيما بعد أن السيدة "**كيترنج**" وجدت مقتولة عند مغادرة القطار محطة "**ليون**". فقال مفتش الشرطة:

–ومع ذلك لم تذهبي إلى الشرطة لتدلي بشهادتك..؟ وتطلعت إليه "**ميريل**" في عظمة وخيلاء، وقالت وهي مزهوة بالدور التمثيلي الذي تؤديه:

–وهل أخون حبيبي..؟ أوه، كلا، لا تطلب من امرأة عاشقة أن تفعل هذا.

–ولكنك جئت الآن تدلين بشهادتك؟ فأجابت:

–الأمر اليوم مختلف. لقد خانني "**ديريك**" وهجرني، فهل أقف مكتوفة اليدين ولا أثأر لنفسي؟ وقاطعها قاضي التحقيق بقوله:

–أرجو أن تقرئي الشهادة التي أدليت بها وأن توقعيها. فنهضت واقفة وهي تقول:

–بالتأكيد.. بالتأكيد يا سيدي، لكن هل أنتم تحتاجون إليَّ الآن..؟

–كلا يا آنسة.. في الوقت الحاضر على الأقل.

–و"**ديريك**".. هل ستقبضون عليه..؟

–في الحال يا آنسة. وأطلقت "**ميريل**" ضحكة قاسية تنبض بالشماتة والتشفي وقالت:

–كان يجب أن يحسب حسابا لهذا قبل أن يهينني. إنني اعتدت أن أهجر الرجال، ولا أقبل أبدا أن يبادر رجل بالتخلي عني. وتنحنح "**بوارو**" في صوت خافت، ثم قال:

–ثمة سؤال صغير يا آنسة.. ما الذي جعلك تعتقدين أن السيدة "**كيترنج**" كانت ميتة عند مغادرة القطار محطة "**ليون**"؟ وحملقت إليه "**ميريل**" وقالت:

–ولكنها كانت ميتة إذ ذاك. فقال "**بوارو**" في إصرار:

–أحقا كانت ميتة..؟

–بالتأكيد كانت ميتة. إنني.. ثم أمسكت عن إتمام جملتها، وقالت:

–لقد قيل لي إنها كانت ميتة عند مغادرة القطار المحطة.. كلهم يقولون هذا.

فقال "**بوارو**" في نبرة مضغوطة ذات مغزى:

–لم أكن لأعلم أن هذه الواقعة تجاوزت باب غرفة التحقيق. وبدا على "**ميريل**" شيء من الحيرة والارتباك وهي تقول:

–هذا ما سمعته، وإن كنت لا أذكر من الذي أبلغني. واستدارت متجهة إلى الباب، وهب السيد "**كوكس**" واقفا وبادر يفتحه لها في احترام. بيد أن صوت "**بوارو**" جلجل في أرجاء الغرفة في هذه اللحظة قائلا:

–والجواهر يا آنسة..؟ هل تستطيعين أن تحدثيني بشيء عن الجواهر..؟ فردت في أعقابه:

–الجواهر..! أية جواهر..؟

–يواقيت الإمبراطورة "**كاترين**"؛ إذ لا شك في أنك عرفت بأمرها. فأجابت "**ميريل**" في صوت حاد النبرات:

–إني لا أعرف شيئا عن هذه الجواهر. ثم بادرت إلى الانصراف وأغلقت الباب وراءها. وقال قاضي التحقيق:

–إنها عصبية لا تحتمل. لكن هل ما روته هو الحقيقة؟ إنني أعتقد أنها صادقة. فقال "**بوارو**":

–ثمة بعض الحقيقة فيما سردته؛ فقد عززت الآنسة "**كاترين**" شيئا من أقوالها، فقبل أن يصل القطار إلى محطة "**ليون**" كانت واقفة في أقصى الممشى فرأت السيد "**كيترنج**" يدخل مقصورة زوجته. وقال مفتش الشرطة:

–إن أدلة الاتهام ضد "**كيترنج**" تبدو قوية مقنعة، وهذا شيء يؤسف له، فقد كنت أتمنى طوال عمري أن يقع الكونت "**دي لاروش**" في يدي. وقد ظننت هذه المرة أن المصيدة قد أطبقت عليه، لكن ها هو ذا يفلت مرة أخرى. وقال قاضي التحقيق متشككا:

–أرجو ألا نكون مخطئين، فالسيد "**كيترنج**" من أبناء الطبقة الراقية، ولن ترحمنا

الصحف الشهيرة إذا نحن اعتقلناه ثم ثبت أنه بريء. وقال مفتش الشرطة متسائلا:

– لكن ما الذي فعله بالجواهر يا ترى؟

–لاشك في أنه أسرع بها إلى أحد تجار الجواهر المسروقة. وابتسم "**بوارو**" قائلا:

–إن لديَّ فكرة أخرى عن الجواهر. ترى ما الذي تعرفونه أيها السادة عن رجل اشتهر باسم "**المركيز**"؟ فقال مفتش الشرطة في انفعال:

–"**المركيز**".. "**المركيز**".. أعتقد يا سيد "**بوارو**" أنه مندمج في هذا الموضوع..

–ربما، فما الذي تعرفه عنه؟ فأجاب المفتش:

–القليل، فهو يعمل من وراء الستار. يصدر الأوامر، وأعوانه هم الذين يقومون بالتنفيذ.

–أهو فرنسي الجنسية؟

–هذا على الأقل هو ما نعتقده، وإن لم نكن على يقين بالأمر. فمن المعروف عنه أن نطاق نشاطه يضم "**فرنسا**" و"**إنجلترا**" و"**أمريكا**" أيضا، بل لقد نسبت إليه بعض سرقات حدثت في "**سويسرا**" في الخريف الماضي.

واستأذن "**بوارو**" في الانصراف قائلا إنه يتوقع أن يوافيهم عاجلا بأنباء ذات شأن. وحين بلغ فندقه وجد في انتظاره برقية مسهبة، ففضها وتلاها مرتين أو ثلاثا، ثم دسها في جيبه وصعد إلى جناحه، وقال لخادمه "**جورج**":

–إنني متعب قليلا، فهل لك أن تطلب لي قدحا من الشوكولاتة..؟

–بكل ارتياح يا سيدي.. وجلس يرتشف الشوكولاتة على مهل وفي تلذذ واضح وقال له خادمه "**جورج**":

–لقد اتصلت تليفونيا بالآنسة "**بابلوس**"، ويسعدها هي وأباها أن يتناولا العشاء معك الليلة.

–شكرا لك يا "**جورج**".

وما إن غادر "**جورج**" الغرفة حتى غرق "**بوارو**" في التفكير، محاولا أن ينسق الوقائع التي توافرت بين يديه، وأن يربط بينها ليخرج منها بنتائج محددة.

- 28 -

قبل موعد العشاء بساعة تقريبا ذهب "**بوارو**" إلى بيت السيدة "**تامبلين**"، وطلب مقابلة الآنسة "**جراي**" لغرض في نفسه، فاستقبلته "**لينوكس**" وأبلغته أن "**كاترين**" لم تكمل ارتداء ملابسها بعد، ثم سألته:

-أتحب أن أبلغها رسالة منك، أم تؤثر أن تنتظرها؟ ولم يجب "**بوارو**" عن السؤال فورا، إنما تريث لحظة طويلة يفكر في الأمر كأنما كان السؤال معضلة عويصة، وأخيرا قال:

-كلا، كلا. أظن أنه ليس من الضروري أن أنتظر الآنسة "**كاترين**". نعم، من الأفضل ألا أقابلها، فمثل هذه الأمور شاقة على النفس. فتطلعت إليه "**لينوكس**" بنظرة مستفسرة. واستطرد "**بوارو**":

-إن لديَّ لها نبأ سيئا. هل لك أن تبلغيها أن صديقها السيد "**كيترنج**" اعتقل الليلة بتهمة قتل زوجته؟ فشحب وجه "**لينوكس**"، وتسارعت أنفاسها وقالت:

-أتريد مني أن أحمل إليها هذا النبأ..؟

-أرجو ذلك يا آنسة. فسألته:

-وهل تعتقد أنت أنه القاتل..؟ فهز "**بوارو**" كتفيه في غير اكتراث وقال:

-هذا ما قرره رجال الشرطة.

-معنى هذا الرد أن لك رأيا آخر..؟ فلم يشبع فضولها بالرد، وإنما سألها:

-إنك تعرفين "**ديريك كيترنج**" منذ زمن طويل، أليس كذلك..؟ فأجابت:

-إنني أعرفه منذ كنت طفلة. ثم أردفت:

-وإلى أيِّ شيء يستندون في اتهامه؟ الدافع إلى الجريمة بالتأكيد كما هو

المألوف، فهل يورثه موتها شيئا؟

- يرث مليونين من الجنيهات .فعادت "**لينوكس**" تسأل في ذكاء:

- ولكن الدافع لا يكفي لإدانته. لابد من أن ثمة شيئا آخر، إني أعرف أنه كان مستقلا القطار نفسه، ولكن هذا أيضا ليس كافيا للإدانة. فقال "**بوارو**" :

- لقد عثرنا في مقصورتها على علبة سجائر جلدية منقوش عليها حرف "الكاف"، ولكنها ليست ملكا للسيدة "**كيترنج**" . كما أن هناك شخصين شاهداه وهو يدخل مقصورتها ويغادرها، وذلك قبل دخول القطار محطة "**ليون**" . فتساءلت :

-ومن يا ترى هذان الشخصان؟ فأجاب :

-صديقتك الآنسة "**جراي**"، وأيضا الآنسة "**ميريل**" الراقصة.

-وما الذي قاله "**ديريك**" في هذا الشأن..؟ فقال "**بوارو**" :

-لقد أنكر إنكارا تاما أنه دخل مقصورة زوجته. فهتفت "**لينوكس**" وقد زوت ما بين عينيها :

-ياله من أحمق..! لقد قلت إنه دخل المقصورة قبيل وصول القطار إلى محطة "**ليون**"، فهل عرفتم متى قتلت؟ فأجابها "**بوارو**" :

-إن قرار الأطباء في مثل هذه الأحوال لا يمكن أن يكون دقيقا محددا، فهم يعتقدون أنه ليس من المحتمل أن يكون الموت قد حدث بعد مغادرة القطار محطة "**ليون**" . أما نحن فنعلم أنها كانت ميتة بعد دقائق من مغادرة المحطة.

-وكيف عرفتم هذا..؟

-لقد دخل بعضهم إلى مقصورتها فوجدوها ميتة.

-ومع ذلك لم يستنجدوا ولم يبلغوا ملاحظ القطار..؟

-كانت لديهم أسباب تحملهم على الكتمان.

-وهل عرفت أنت هذه الأسباب؟ فأجابها "**بوارو**" :

-أظن أنني أعرفها. وران عليهما الصمت لحظة، ومضت "**لينوكس**" تتدبر

كلمات "**بوارو**"، وتحاول أن تنفذ إلى مغزاها. وأخيرا أشرق وجهها وبرقت عيناها وقالت:

-أرى أنك تعتقد أن الذي قتلها شخص كان يستقل القطار، ومع ذلك فثمة افتراض آخر؛ عندما توقف القطار في محطة "**ليون**" تسلل إلى مقصورتها شخص مجهول، فخنقها، وسرق الجواهر، ثم هبط من القطار دون أن يفطن إليه أحد، أي أنها قتلت في أثناء وقوف القطار في محطة "**ليون**". وتأسيسا على هذا كانت السيدة "**كيترنج**" على قيد الحياة عندما دخل "**ديريك**" مقصورتها قبل الوصول إلى محطة "**ليون**"، وكانت ميتة عندما دخل الآخرون المقصورة بعد مغادرة القطار المحطة. وأسند "**بوارو**" رأسه إلى ظهر مقعده، وتأملها لحظة طويلة، ثم قال:

-إنك يا آنسة على قدر كبير من الذكاء. إن تحليلك هذا قريب من الحقيقة إلى حد كبير، بل إنه يكاد يكون الحقيقة ذاتها. ثم نهض واقفا يزمع الانصراف فسألته "**لينوكس**":

-وما موقف "**ديريك**" في رأيك..؟ فأجاب وهي تشيعه إلى الباب:

-إنني غير مقتنع بإدانته. والليلة سأقابل شخصا قد يزودني بمعلومات أرجو أن تبدد الظلمات التي تكتنفني.

حملته السيارة إلى كازينو "**مونت كارلو**" طبقا للموعد المضروب، فوجد السيد "**بابولوس**" وابنته في انتظاره. وجلسوا يتناولون العشاء، ويتسامرون في مرح وابتهاج، وقال السيد "**بابولوس**" وقد أوشكوا أن يفرغوا من طعامهم:

-ترى هل راهنت على الجواد الذي زودتك باسمه أعني "**المركيز**"؟ وأومأ "**بوارو**" برأسه إيجابا، فسأله اليوناني:

-وهل انتهيت إلى نتيجة معينة؟

-إني ما أزال في بداية الطريق.

ونهضوا عن المائدة، ومضوا إلى قاعة القمار، فاختار اليوناني إحدى موائد (الروليت)، على حين رافق "**بوارو**" ابنته "**زيلا**". إلى مائدة أخرى. وخانهما الحظ

فخسرا قدرا من المال، وقالت "**زيلا**" فجأة:

– يحسن بي أن أكف عن اللعب مادام الحظ لا يحالفني. فقال "**بوارو**" يطريها:

– إن لك طباع أبيك وحصافة رأيه، إنك تعرفين متى تكفين وتنسحبين. ودار بعينيه في أرجاء القاعة، ثم قال:

– أين أبوك يا ترى..؟ إني عاجز عن تبين مكانه في هذا الزحام. ثم أردف:

– سآتيك بمعطفك ونخرج إلى الحديقة.

ولكنه لم يتجه إلى غرفة المعاطف مباشرة، وإنما مضى يبحث عن اليوناني العجوز، فلمحه– على غير توقع– في البهو الكبير واقفا بجانب أحد الأعمدة الضخمة يتحدث إلى إحدى السيدات. وكانت هذه السيدة هي "**ميريل**" الراقصة. ودار "**بوارو**" حول الغرفة، وانزوى بجانب العمود من الناحية الأخرى دون أن يفطن إليه اليوناني وصاحبته. وسمع الراقصة تقول:

–يجب أن تمنحني مهلة. إذا أفسحت لي الوقت فسوف أستطيع أن أدبر لك المبلغ. فاجابها اليوناني:

–إني رجل لا أحب الانتظار.

–إنها مجرد مهلة قصيرة، أسبوع أو عشرة أيام فقط. تأكد أن المال سيكون جاهزا. وتململ اليوناني في وقفته، وإذا هو يرى "**بوارو**" على قيد خطوة منه، وعلى وجهه سمات البراءة. وغمغم "**بوارو**":

–آه... أهذا أنت يا سيد "**بابولوس**"، لقد كنت أبحث عنك. أتسمح لي بأن أتجول في الحديقة قليلا مع الآنسة "**زيلا**"...؟ ثم انحنى أمام "**ميريل**" الراقصة يحييها وهو يقول معتذرا:

–آسف جداً. إني لم أرك في البداية يا آنسة. ثم انسحب متجها إلى غرفة الثياب. وحمل إلى "**زيلا**" معطفها وخرجا يتمشيان في الحديقة وقالت "**زيلا**":

–أترى هذا الركن المنزوي من الحديقة لقد اختاره اليائسون من الخاسرين على مائدة اللعب مكانا ينتحرون فيه. فقال "**بوارو**":

–من الحماقة أن ينتحر المرء لأنه خسر في القمار، وإن كنت أستطيع أن أفهم أن ينتحر المرء لفشله في الحب. فأطلقت "**زيلا**" صيحة مرحة وقالت:

–إن هذا لرأي غريب منك يا سيد "**بوارو**". فقال:

–لا تسخري من الحب يا آنسة؛ فإنك جميلة وفي عنفوان الشباب، ولا تدرين ما يخبئه لك الغد. فقالت معترضة:

–أرجوك، لا تسرف في إطرائي، أم لعلك نسيت أنني أشرفت على الثالثة والثلاثين. لقد كان عمري سبعة عشر عاما عندما تعرفنا إليك في "**باريس**" وأعدت لأبي الجوهرة التي اختفت. فقال "**بوارو**" مجاملا:

–الحق أني لا أكاد ألمس فرقا. إن جمالك لايزال خلابا رائعا كما كان من قبل، وإن كان المرء في شبابه قد يقدم على بعض التصرفات الطائشة دون مبالاة ويستجيب لإغراء من يحب بلا وعي أو تدبر. ورمته "**زيلا**" بنظرة جانبية مختلسة، بيد أنه تظاهر بأنه لم يلمحها واستطرد قائلا:

–لقد كان اختفاء الجوهرة أمرًا عجيبا يا آنسة، ولكن أباك لايزال حتى اليوم يجهل سر اختفائها، لقد ألح عليَّ بأن أكاشفه بالتفاصيل، ولكني أبيت وأمسكت لساني، وقلت له: "حسبك أنك استعدت جوهرتك، فلا توجه إليَّ سؤالا آخر".. فهل تعرفين يا آنسة لِمَ كتمت السر دونه؟ فأجابته "**زيلا**" في نبرة غاضبة:

–لا.

–هل نسيت "**أنطونيو بيريزيو**" الشاب الوسيم الذي كان يعمل في متجر أبيك؟ لقد شعرت بالعطف عليه منذ اللحظة الأولى. لقد جاء يعمل مساعدا لأبيك، وبسبب وسامته وذلاقة لسانه استطاع بسهولة أن يخلب قلب ابنة رب العمل؛ خصوصا وأنها كانت غريرة ساذجة، ولاتزال طفلة لم تبلغ السابعة عشرة بعد. وكانت الفتاة تستمع إلى "**بوارو**" صامتة، وإن كانت أنفاسها تتسارع، وخفقات قلبها تشتد. واستطرد "**بوارو**":

–وحدث إذ ذاك أن أودع أحد الأمراء لدى أبيك جوهرة نادرة اقترض في مقابلها

مبلغا من المال. وكان طبيعيا أن تحدث الفتاة صاحبها عن هذه الجوهرة النادرة، واستطاع الفتى أن يغري فتاته بأن تريه الجوهرة النادرة، وهكذا عرف مخبأها السري، ولم تمض ساعات حتى اختفت الجوهرة. واستولى الرعب على الفتاة المسكينة ابنة رب العمل وحارت في أمرها: أتخبر أباها بأنها هي التي دلت "**أنطونيو**" على مخبإ الجوهرة فتفضح سرها، أم تكتم الأمر دونه ؟ وفجأة ظهر العبقري "**هيركيول بوارو**" على المسرح، فاستعاد الجوهرة المختفية. واستدارت إليه "**زيلا**" وقالت في انفعال وحشي:

–إذن فقد عرفت كل شيء إذ ذاك، فهل هو "**أنطونيو**" الذي كاشفك بالأمر؟ فأجابها "**بوارو**" في هدوء:

–لم يكاشفني أحد بشيء. كان الأمر كله استنتاجا منطقيا، وبغير الاستنتاج المنطقي لا يصلح المرء لأن يكون شرطيا سريا. وانقضت بضع دقائق وهما يسيران في الحديقة صامتين لا ينبس أخدهما بكلمة، وفجأة قالت الفتاة:

–لا شك في أنك تريد مني شيئا، وإلا لما سردت عليَّ هذه القصة. وفي بساطة أجاب "**بوارو**" :

–إنني أنشد مساعدتك يا آنسة.

–وإذا أبيت أن أساعدك مضيت إلى أبي ورويت له قصة الجوهرة المفقودة.. أليس كذلك؟

–أرجو يا آنسة أن تنزعي هذه الفكرة من رأسك.. إن "**هيركيول بوارو**" ليس بالرجل المبتز. إن أبيت مساعدتي انصرفت إلى شأني، ولن تسمعي عني أبداً بعد ذلك. كل ما هنالك أنني أسديت إليك خدمة في يوم من الأيام، وأعرف أن من طباع المرأة أنها تحب أن ترد الجميل. وران عليهما الصمت لحظة، ثم قالت "**زيلا**" :

–ولكن أبي أدلى إليك منذ أيام بشيء من المعلومات..؟

–أتعنين إشارته إلى "**المركيز**" ؟ كان هذا كرما منه، ولكن هذه المعلومات لم تكن كافية لتبديد الغموض. ومن جديد ساد الصمت مرة أخرى، ثم قالت الفتاة:

–إنك قلت لأبي إن موضوع الجواهر لا يهمك في شيء، وإن كل ما يعنيك هو اكتشاف القاتل، أليس كذلك..؟

–هذا صحيح يا آنسة، إذا كان لأبيك ضلع في الجواهر فلن يمس بسوء؛ القاتل وحده هو الهدف. وبعد سكتة قصيرة عادت الفتاة تقول:

–إني أصدقك، ولذلك سأفضي إليك بما لديَّ من معلومات. لقد جاء أبي إلى "**نيس**" بشأن ياقوتة "**جذوة النار**". فسألها "**بوارو**":

–هل سبق لك أن رأيت "**المركيز**"..؟

–لقد تلصصت عليه مرة أو مرتين من ثقب الباب.

–حقا..؟! إذن صفيه لي.

–لا أستطيع؛ فهو دائما يستر وجهه بقناع عندما يزور أبي. فسألها "**بوارو**":

–أهو شاب أم عجوز..؟

–إن شعره أبيض، لكن لعله يتخذ شعرا مستعارا، ولكن مشيته وحركاته توحي بأنه شاب، وكذلك صوته. فقال "**بوارو**":

–هل يمكن أن تميزي صوته إن سمعته مرة أخرى..؟ فأومأت برأسها إيجابا وقالت:

–أعتقد هذا. ثم أردفت:

–ثمة شيء آخر أحب أن أكاشفك به.

–حقا! أرجو إذن أن تتكلمي.

–قلت لك إن أبي اشترى "**جذوة النار**" هنا في "**نيس**"، وإنني وإن كنت لم أر اللص الذي باع اليواقيت إلى أبي، إلا أنني على يقين بشيء واحد. فسألها "**بوارو**" في شوق:

–وما هذا الشيء يا ترى..؟

–إن الذي باع "**جذوة النار**" إلى أبي امرأة لا رجل.

- 29 -

تلقت "**كاترين جراي**" خطابا من قريتها "**سان ميد**"، مختوماً بتوقيع عجوز من معارفها تدعى "**أميليا فاينر**".

كان خطابا عاديا ساذجا، ينطوي على لمسات عائلية تهز القلب، تحدثت فيه العجوز عن القس الجديد وسخط الناس عليه، وتحدثت عن إصابتها بالروماتيزم واشتداد آلامه، وكيف أشاروا عليها بأن تستشير متخصصا في "**لندن**"، فقرر أنها مصابة بالسرطان، وأن العمر قد لا يمتد بها عاما واحدا، واختتمت "**أميليا فاينر**" الخطاب بقولها:

«لو أنك لم تصيبي هذه الثروة الطائلة، لضاعفت أجرك واتخذتك رفيقة لي، حتى أحظى برعايتك وحنانك في أيامي الأخيرة. واعلمي على أية حال أن بيتي مفتوح لك يرحب بك في أية لحظة تشائين، فطالما قرأت عن رجال يخدعون الفتيات ويسلبونهن ثرواتهن، ثم يتخلون عنهن، وإن كنت أعرفك متزنة حصيفة الرأي، لا يمكن أن تنزلقي إلى مثل هذه الشراك. لقد رأيت صورة لك مع قريبتك السيدة "**تامبلين**" في إحدى المجلات فاقتطعتها وضممتها إلى قصاصاتي، وأنا أدعو الله أن يصونك من الغرور».

صديقتك المحبة

"**أميليا فاينر**"

قرأت "**كاترين جراي**" الخطاب مرتين ومس شغاف قلبها ببساطته وما ينطوي عليه من إخلاص، وخامرها شعور بالحنين إلى قريتها وصديقاتها القديمات. وفي هذه اللحظة دخلت عليها "**لينوكس**"، فانتشلتها من شرودها، وقالت لها "**لينوكس**":

-لقد اتصلت بصديقك "**هيركيول بوارو**" ودعوته إلى تناول العشاء معنا هنا في "**نيس**"، وزعمت له أن الدعوة موجهة إليه منك أنت. فسألتها "**كاترين**":

–ولِمَ فكرت في دعوته؟!

–لأن حديثه في الواقع طريف شائق. ولكنني كتمت عن أمي أننا سنقابله حتى لا تفرض نفسها علينا وتفسد جلستنا.

وبادرت "**كاترين**" ترتدي ثياب الخروج، وعندما وصلت الفتاتان إلى مطعم "**نجريسكو**" وجدتا "**بوارو**" في انتظارهما، فتلقاهما في ترحاب شديد، وأغرقهما بعبارات المجاملة والإطراء، بيد أن جوا من الوجوم كان يسيطر على العشاء؛ إذ كانت "**كاترين**" شاردة الذهن لائذة بالصمت، على حين حاولت "**لينوكس**" أن تبدد هذا الجو ببعض النكات. وفجأة وهم يرتشفون القهوة انقضت "**لينوكس**" على "**بوارو**" بهذا السؤال:

–ما الأخبار الآن..؟ إنك تدرك بالتأكيد ما أرمي إليه. فأجاب:

–الأمور تسير في مجراها المألوف.

–وهل ترضى لنفسك وأنت "**بوارو**" أن تدع الأمور تسير في مجراها العادي؟ وتأمل الشرطي العجوز "**لينوكس**" بنظرة حزينة وقال:

–إن القدر هو الذي يدبر الأمور يا آنسة، ولكل شيء أوانه. وهتفت "**لينوكس**":

–آه... ها هو ذا السيد "**كايتون**". وأدارت "**كاترين**" رأسها وتطلعت إلى الناحية التي أومأت إليها "**لينوكس**"، على حين استطردت هذه:

–إنه مع السيد "**فان ألدن**"، فهل تأذنان لي بالانسحاب؛ لأنني أريد أن أستفسر من الرائد "**كايتون**" عن شيء ما؟ ومال "**بوارو**" إلى ناحية "**كاترين**" وقال متسائلا:

–إنك شاردة الذهن يا آنسة، فما الذي يشد خاطرك؟! وأجابت:

–أصبت يا سيد "**بوارو**"... إنه الحنين إلى الوطن. ودفعت إليه بالخطاب الذي تلقته صباح اليوم من "**أميليا فاينر**"، فسألها وقد فرغ من قراءته:

–إذن فأنت تنوين أن تعودي إلى "**سان ميد**"..؟ فأجابت:

–كلا لن أعود.. ما الذي يدعوني إلى العودة؟

واستأذنها في الانصراف بضع دقائق، ولحق بـ"**لينوكس تامبلين**" وهي تتحدث إلى السيد "**فان ألدن**" وسكرتيره "**كايتون**". واغتنم "**بوارو**" الفرصة، وسحب "**كايتون**" من ذراعه بعيدا بضع خطوات، وقال له:

-إن السيد "**فان ألدن**" يبدو مريضا..

-وهل يدهشك هذا؟! إن القبض على زوج ابنته "**ديريك كيترنج**" فضيحة مست كرامته.. إنه الآن نادم على أنه استدعاك لتحقيق القضية.

-ومتى تنوون العودة إلى "**إنجلترا**"؟

-بعد غد. وتردد "**بوارو**" لحظة ثم أردف قائلا:

-أرجو أن تخبر الآنسة "**جراي**" بأنكم عائدون إلى "**إنجلترا**" بعد غد. وبدت الحيرة في وجه "**كايتون**"، وغمغم قائلا:

-وما شأنها بذلك؟! ومع هذا سأخطرها بسفرنا. وبعد لحظات مضوا جميعا إلى حيث كانت "**كاترين**" جالسة وأمضوا بعض الوقت يتبادلون حديثا عابرا. ثم انصرف "**فان ألدن**" يرافقه سكرتيره. وشكر "**بوارو**" الفتاتين – وقد خلا إليهما– على دعوتهما إياه لتناول الغداء معهما ثم أردف قائلا وهو يهم بالانصراف:

- الآنسة "**كاترين**".. إياك أن تتوهمي أن "**بوارو**" قد أخلد إلى الراحة والهدوء.. إنه لايزال يعمل، وسوف يوفق وعندئذ تتكشف الأمور على حقيقتها. ثم انحنى أمام الفتاتين، واستدار منصرفا. على أنه ما كاد يبتعد بضع خطوات حتى لاحقه صوت "**كاترين**":

-سيد "**بوارو**"، أعتقد أنك كنت على حق.. إنني عائدة إلى "**إنجلترا**" فورا. وحملق "**بوارو**" إلى عينيها لحظة، فتضرًج وجهها احمرارا وغمغم:

-الآن عرفت سبب رحيلك المفاجئ. فهزت "**كاترين**" رأسها وقالت:

-لا أعتقد أنك عرفت. فأجاب في هدوء:

-إنني أعرف يا آنسة أكثر مما تظنين. وتابع طريقه وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة.

*****

كان "**هيبوليت**" وصيف الكونت "**دي لاروش**" يطل من النافذة على حديقة القصر، في حين كان الكونت نفسه متغيبا في "**مونت كارلو**". ورأى "**هيبوليت**" رجلا كهلا يجتاز الحديقة متجها إلى ناحية البيت، فقال لزوجته "**ماري**":

–لا أعتقد أن هذا الرجل شرطي. فأقرته على رأيه قائلة:

–فعلا، فإن سمات رجال الشرطة لا تبدو على وجهه. واستطرد "**هيبوليت**":

–لحسن الحظ أن رجال الشرطة لم يضايقونا عند استجوابهم لنا.. ولولا أن سيدي الكونت نبهنا إلى ما يجب أن ندلي به لقلنا الحقيقة. وعلا رنين الجرس، فهرع "**هيبوليت**" إلى الباب ليستقبل الزائر الذي رآه منذ لحظات يعبر الحديقة فأنبأه أن الكونت متغيب عن البيت، فقال له الطارق:

–لكنني أريد أن أتحدث إليك أنت يا "**هيبوليت فلافيل**"، وإلى زوجتك "**ماري**"، أليس هذان اسميكما..؟

–تماما يا سيدي، لكن.. بيد أن الزائر كان قد دلف من الباب إلى الردهة وهو يقول:

–إن زوجتك في المطبخ بالتأكيد.. إنني ذاهب إليها. وقبل أن يسترد "**هيبوليت**" أنفاسه كان الزائر الغريب قد اجتاز الباب الذي يؤدي إلى المطبخ، ففتحه ودخل، فتطلعت إليه "**ماري**" فاغرة فمها دهشة. وقال الزائر الغريب وهو يجلس على أحد المقاعد الخشبية:

–إنني "**هيركيول بوارو**".. أعظم شرطي سري في العالم. ومضى الوصيف وزوجته يحملقان إلى هذا الزائر الغريب وقد حيرهما كيف يتصرفان حياله، واستطرد "**بوارو**":

–لقد جئت لأوجه إليكما سؤالا.. لِمَ كذبتما على الشرطة..؟ وهتف "**هيبوليت**" محتجا:

–سيدي.. إنني ما كذبت قط على الشرطة. فهز "**بوارو**" رأسه عدة مرات وقال:

–يبدو أن ذاكرتك على غاية من الضعف... إنك فعلت هذا عدة مرات.. سبع

مرات على الأقل. وتناول من جيبه مفكرة صغيرة نشرها بين يديه وأخذ يقرأ منها:

-لعل ما سأتلوه عليك ينعش ذاكرتك.. وفي صوت هادئ أخذ يشير إلى المرات التي استجوبت فيها الشرطة "**هيبوليت**" في خلال الأعوام الأخيرة السابقة. ثم أردف:

-بيد أنني ما جئت لأحاسبك على هذه الأكاذيب الماضية، وإنما جئت لأحاسبك على آخر أكذوبة لك.. لقد قررت أمام الشرطة أن الكونت "**دي لاروش**" وصل إلى هذه الفيلا صباح 14 كانون الثاني (يناير). فصاح "**هيبوليت**":

- ولكن تلك هي الحقيقة يا سيدي، لقد وصل سيدي الكونت إلى الفيلا صباح الثلاثاء 14كانون الثاني (يناير) أليس كذلك يا "**ماري**"..؟ أومأت "**ماري**" مؤمنة على ما قاله زوجها. وخبط "**بوارو**" المنضدة بقبضة يده في عنف وقال:

-إنكما تكذبان، ظنًّا منكما أن أحدا لن يفطن إلى هذه الأكاذيب، ولكن الله الذي يعلم كل شيء يعرف أنكما كاذبان وأنا أيضا أعرف هذا.. فقال "**هيبوليت**":

-أؤكد لك يا سيدي أن الكونت غادر "**باريس**" مساء يوم الاثنين.. فقاطعه "**بوارو**":

-هذا صحيح.. ولكنه لم يرجع إلى الفيلا صباح الثلاثاء، وإنما رجع صباح الأربعاء. فقال "**هيبوليت**" في عناد وإصرار:

- إنك مخطئ في هذا يا سيدي.

- إذن فلندع القانون يتخذ إجراءاته ضدكما... ثم أردف وهو ينهض واقفا:

- سيقبض عليكما باعتباركما شريكين في جريمة قتل السيدة "**كيترنج**"، السيدة الإنجليزية التي قتلت في القطار الأزرق. وشحب وجه "**هيبوليت**" وهتف:

- جريمة قتل...؟ وبدأت "**ماري**" تبكي وتغمغم:

- رحماك ربي...! وقال "**بوارو**":

- إصراركما على هذه الأكذوبة قد يؤدي بكما إلى المشنقة. واستدار متجها إلى

الباب. وسك مسمعه صوت نابض بالانفعال يهتف به:

– سيدي... سيدي... أرجوك... لحظة واحدة... لم أكن لأظن قط أن الموضوع مرتبط بجريمة قتل... كنت أحسب الأمر متعلقا بسمعة سيدة على علاقة بالكونت. واستدار إليه "**بوارو**" قائلا في غضب وهو يحدجه بنظرات ينبعث منها الشرر:

– ما أشد حماقتكما... للمرة الأخيرة هأنذا أسألكما: متى رجع الكونت إلى الفيلا...؟ صباح الثلاثاء أم صباح الأربعاء...؟ فأجاب "**هيبوليت**" وهو يغص بريقه:

– صباح الأربعاء يا سيدي... إني لا أحب أن أتورط في جريمة قتل، فلا داعي إلى الكذب. وأومأت "**ماري**" برأسها مؤمنة على ما قاله زوجها. وقال "**بوارو**" في نفسه وهو يغادر الفيلا: "لقد صدق حدسي الأول، فهل أصيب في الحدس الثاني...؟".

❁❁❁❁❁

في السادسة من مساء اليوم نفسه مضى "**بوارو**" إلى مقابلة الراقصة "**ميريل**". وحين دخل عليها ألفاها تذرع الغرفة جيئة وذهابًا، وهي في انفعال عصبي يتجلى واضحا في أساريرها. وهتفت به "**ميريل**" في عصبية وغضب:

– والآن ما الذي تريده مني...؟ ألا يكفي ما كابدت على يدك..؟ ألا يكفيك أنك جعلتني أغدر بحبيبي المسكين "**ديريك**"...؟ فما الذي تبتغيه مني أكثر من هذا؟

– سؤال واحد يا آنسة... بعد مغادرة القطار محطة "**ليون**" عندما دخلت مقصورة السيدة "**كيترنج**"...

– ماذا تقول...؟ إني لم أدخل إلى مقصورتها قط. فتطلع إليها "**بوارو**" بنظرة عتاب، واستطرد قائلا:

– عندما دخلت المقصورة ووجدتها... فقاطعته للمرة الثانية:

– قلت لك إنني لم أدخلها. وتحول إليها "**بوارو**"، وصرخ فيها غاضبا، فتراجعت وانكمشت في نفسها، فقال لها:

– أتعتقدين أن في وسعك أن تكذبي على "**هيركيول بوارو**"...؟ إنني أعرف ما حدث كأنني كنت حاضرا.. إنك دخلت مقصورتها، ووجدتها ميتة... وإياك أن تكذبي عليَّ، وإلا أوقعت نفسك في مأزق لا فكاك منه... للمرة الأخيرة هانذا أنذرك... احترسي يا آنسة "**ميريل**"، وكوني على حذر. فقالت:

– لكنني لم... ثم أمسكت وقد بعثت نظراته الصارمة الرهبة في قلبها. واستطرد "**بوارو**":

– ومع ذلك فثمة نقطة واحدة لا تزال غامضة تثير حيرتي.. هل عثرت على ما كنت تنشدين، أم أن شخصا آخر سبقك إليه واستولى عليه...؟ وصاحت "**ميريل**":

– لن أجيب عن أي سؤال بعد الآن. ثم أخذت تصرخ وارتمت على الأرض تنتحب وتستنجد، وهرعت إليها إحدى الخادمات مستفسرة، فلم يجد "**بوارو**" بدًّا من الانصراف، ولكنه كان يبدو راضيا.

- 30 -

كانت "**كاترين**" تطل على الحديقة من نافذة مخدع الآنسة "**فاينر**" في قرية "**سان ميد**"، على حين كانت الآنسة "**فاينر**" نفسها راقدة في فراشها، وهي تفض الرسائل التي حملها إليها بريد ذلك الصباح. وكان من بينها رسالة معنونة باسم "**كاترين**"، فدفعتها إليها، ففضتها وقرأتها في اهتمام. كانت الرسالة من "**بوارو**" يخطرها فيها بأنه لا يزال يوالي تحرياته، وأنه سيعود إلى "**لندن**" ليمضي فيها بضعة أيام ينشد فيها الراحة والاستجمام، وأنه ينوي أن

يقابلها في أثناء عطلته، واختتم خطابه بقوله:

"إننا شريكان في التحقيق في هذه الجريمة، فيسعدني أن أطلعك عند حضوري على آخر التطورات". شردت "**كاترين**" ببصرها لحظة بعد أن فرغت من تلاوة الرسالة، وانتزعتها الآنسة "**فاينر**" من استغراقها بأن مضت تحدثها عما ورد في بعض الخطابات التي وردت إليها عن رحلة أعدها بعضهم لتمضية النهار في الخلاء، أو حفلة تمثيلية يخصص دخلها للبر والإحسان. وقالت الآنسة "**فاينر**" وقد أتت على جميع الرسائل:

– إن لبعض أهل القرية ألسنة حادة... لقد زعموا أن الثروة التي هبطت عليك ستدير رأسك، وتجعلك ترتدين ثيابا فاضحة منحلة، ولكني قلت لهم إن "**كاترين**" فتاة متزنة حصيفة الرأي، ولن تفعل شيئا من هذا القبيل، ولن تحاول أبدا أن تحاكي السيدة "**تامبلين**" في سلوكها. فقالت "**كاترين**" باسمة:

– إذن فقد أقمت من نفسك محامية تدافعين عني في أثناء غيابي.

– يمكنك أن تقولي هذا، ولقد أسعدني أن أراك تعودين إلينا بثيابك المحتشمة نفسها وسلوكك المتزن. ثم استطردت:

– منذ بضعة أيام كنت أقلب مجموعة القصاصات التي اعتدت أن أقطعها من الصحف وأحتفظ بها، وكانت من بينها عدة قصاصات عن السيدة "**تامبلين**" والمستشفى الذي كانت تشرف عليه في أثناء الحرب. ولكنني عجزت عن أن أتبينها بسبب ضعف بصري، فهل لك أن تأتيني بها؟ إنها في علبة صغيرة في درج المكتب. وعادت إليها "**كاترين**" بصندوق القصاصات، وأخذت تتأملها وتتفحصها، ثم تناولت بعض القصاصات وقالت:

– هذه صورة السيدة "**تامبلين**" بمناسبة تحويل بيتها في "**نيس**" إلى مستشفى للضباط في أثناء الحرب. وهذه قصاصة أخرى عن سرقة جواهرها من مخدعها في المستشفى، وكان من بينها ماسات نادرة. واستطردت "**كاترين**" وهي تمعن في النظر إلى إحدى القصاصات:

– وهذه صورة أخرى للسيدة "**تامبلين**" مع ابنتها "**لينوكس**". وتناولت الآنسة "**فاينر**" القصاصات، ومضت تتأملها، وقالت:

– إن السيدة "**تامبلين**" حقًّا سيدة جميلة فاتنة. وتناولت "**كاترين**" قصاصة أخرى وقرأت ما هو مسطور تحتها:

– السيدة "**تامبلين**" إحدى نجوم المجتمع الراقي وهي تقيم الآن في فيلا "**كاب مارتين**" في "**نيس**"، تصحبها ابنة عمها الآنسة "**جراي**" التي آلت إليها ثروة ضخمة بطريقة غاية في الغرابة. وهتفت الآنسة "**فاينر**":

– آه... هذه هي الصورة التي كنت أبحث عنها. إنني أريدها لأغيظ بها أولئك اللاتي يشهرن بك ويزعمن أنك لا تمتين إلى السيدة بأية صلة قرابة. ولم تجب "**كاترين**"، وإنما فضت الخطاب الثاني الذي ورد باسمها، وبعد أن فرغت منه قالت:

– إني أريد أن أسألك يا آنسة "**فاينر**"، إن لي صديقا تعرفت إليه في "**الريفييرا**"، وقد جاءني منه هذا الخطاب يرجوني أن أستقبله هنا، فماذا ترين في هذا...؟

– ومن يكون هذا الرجل...؟

– إنه يدعى الرائد "**كايتون**"، ويعمل سكرتيرا لمليونير أمريكي اسمه السيد "**فان ألدن**".

– سكرتير لمليونير أمريكي...! هذا رائع...! ويريد أن يقابلك هنا؟ ولاذت الآنسة "**فاينر**" بالصمت هنيهة ثم قالت:

– أرجو يا بنتي "**كاترين**" أن تستمعي إليَّ. إنني أعرف أنك فتاة حكيمة متزنة الرأي، ولكنني أخشى أن يدير أحد الرجال رأسك ويوقعك في شباكه، فكوني على حذر، وأغلب ظني أن هذا الرجل لا يسعى إلا وراء مالك. إن سكرتير المليونير لا يعدو – عادة – أن يكون شابا وسيم الوجه مهذب السلوك، ولكن لا شيء أكثر من هذا. فإذا استقر رأيك على أن تتزوجيه فكوني حريصة

على مالك. وشكرتها "**كاترين**" على هذه النصيحة، ثم سألتها عما إذا كانت ستأذن لها باستقباله في بيتها، وأجابتها الآنسة "**فاينر**":

– ولِمَ لا؟ مادمت راغبة في استقباله، ولك أيضا أن تدعيه إلى تناول الطعام هنا؛ فإن "**إيلين**" تحسن إعداد شرائح اللحم.

– شكرا لك. سأتصل به تليفونيا وأدعوه إلى تناول الغداء.

*****

وصل الرائد "**كايتون**" إلى بيت الآنسة "**فاينر**"، والشمس مشرقة تبعث الدفء في الأوصال. وأقبل على "**كاترين**" يحييها في حرارة وقال:

– أرجو ألا تكوني قد استأت من حضوري، وألا يكون في هذا ما ضايق صديقتك التي تقيمين عندها. فأجابته "**كاترين**":

– إنها سيدة طيبة القلب فهيا أعرفك بها. واستقبلته الآنسة "**فاينر**" في استعلاء وتحفظ، لكن لم تكد تنقضي عشر دقائق حتى كان "**كايتون**" قد خلب لبها بدماثته ورقته وطلاوة حديثه. وبعد أن فرغوا من تناول الغداء، خرج "**كايتون**" و"**كاترين**" يتمشيان في القرية بعد أن أوت الآنسة "**فاينر**" إلى فراشها لتستجم بعد تناول الطعام. وبعد قرابة الساعة رجعت "**كاترين**" وحدها إلى البيت فسألتها الآنسة "**فاينر**":

– هل انصرف صديقك...؟

– نعم، وهو يشكرك على استضافتك إياه. ثم أردفت الآنسة "**فاينر**":

– يبدو أنني أخطأت في حق هذا الرجل، وهو ينظر إليك كانت عيناه ناطقتين بالحب، نعم... إنه واقع في هواك يا "**كاترين**".

- 31 -

دعا "**هيركيول بوارو**" إلى مائدته السيد "**جوزيف أرونز**" وقدم إليه أشهى الطعام وأطيب الشراب، فلما فرغا قال "**أرونز**" لمضيفه:

– لقد أخبرتني بأنك تريد أن تستوضحني أمرا، فهات ما عندك، فإنه يسعدني أن أسدي إليك أية خدمة.

– شكرا لك. لقد قلت في نفسي إن صديقي "**جوزيف أرونز**" موسوعة حية. إنه الوحيد الذي يعرف كل شيء يدخل في نطاق المسارح.

– أصبت، فسل ما بدا لك عن أي ممثل أو ممثلة.

– ما الذي تعرفه عن امرأة شابة تدعى "**كيد**"... "**كيتي كيد**"...؟ فتريث "**أرونز**" هنيهة مفكرا ثم قال:

– إنها فتاة بارعة، تغني وترقص، وبصفة خاصة تجيد تقليد الشخصيات المعروفة. أهذه هي التي تقصدها...؟

– هي بعينها.

– لقد كانت المسارح تتهافت على التعاقد معها، ليس لأنها ممثلة شهيرة، وإنما بسبب قدرتها على تقليد الشخصيات الشهيرة.

– ولكنها اختفت أخيرا من المسارح ولم تعد تظهر.

– لقد سافرت إلى "**فرنسا**" في صحبة نبيل فرنسي واسع الثراء واعتزلت العمل المسرحي منذ ذلك الحين، وكان ذلك منذ ثلاث سنوات.

– أتعرف اسم الرجل الذي صحبته إلى "**باريس**"...؟

– كلا، ولكنه من النبلاء إنه "**مركيز**" بكل تأكيد، وهذا كل ما أعرفه عنه... وعاد "**بوارو**" يسأل ضيفه:

– إنك تعرف "**ميريل**" بالتأكيد..؟

– "**ميريل**" الراقصة...؟ إنها مسرفة إلى حد لا يحتمل، وتظل بالرجل تستنزف

ماله حتى يفلس. وهي عصبية جدا وسريعة الغضب والهياج. وسأله "**بوارو**" :

– ومتى ظهرت على المسارح...؟

– منذ أقل من ثلاثة أعوام، وأحد الدوقات هو الذي وضعها تحت رعايته.

– هذا نبأ لم أكن لأعرفه من قبل.

– وهي مولعة بالجواهر إلى درجة الجنون، وقد بلغني أنها تتحلى الآن بياقوتة حمراء في حجم بيضة الحمامة. فقال "**بوارو**" في دهشة:

– ياقوتة في حجم بيضة الحمامة؟ هذه معلومات طريفة...! واستطرد "**أرونز**" ضاحكا:

– لكن ما يدرينا أن هذه الياقوتة ليست إلا قطعة من الزجاج الأحمر، فالمرأة مولعة بالكذب فيما يتصل بالجواهر، ومع ذلك فإنها تزعم أن هذه الياقوتة هي الجوهرة الشهيرة المعروفة باسم "**جذوة النار**". فقال "**بوارو**" :

– ولكني أعرف أن "**جذوة النار**" هي الياقوتة الوسطى الكبيرة في قلادة من اليواقيت.

– أرأيت..؟! ألم أقل لك إن المرأة مولعة بالكذب عندما تتحدث عن جواهرها... إنها دون شك قطعة من الزجاج. فقال "**بوارو**" في صوت هامس:

– نعم، إني أعتقد أنها قطعة من الزجاج.

- 32 -

قال "**هيركيول بوارو**" يخاطب "**كاترين جراي**" وهما يتناولان الطعام في فندق "**سافوي**" :

– ترى هل قابلت أحدا من أصدقاء "**الريفييرا**" بعد عودتك إلى "**إنجلترا**"...؟

فأجابت:

– نعم. قابلت الرائد "**كايتون**".

– آه...! حقا...؟ وتأملها بنظرة عميقة فاحصة جعلتها ترخي عينيها، ثم أردف:

– سأحاول أن أقابل السيد "**فان ألدن**" غدا أو بعد غد.

– لابد من أن لديك أنباء له. ثم استطردت:

– أتأذن لي بأن أوجه إليك بعض الأسئلة عن القطار الأزرق؟

– ولِمَ لا...؟ إنه جريمتنا المشتركة، فسلي ما بدا لك. فسألته:

– ما الذي كنت تفعله في "**باريس**"؟

– كنت على اتصال بالسفارة الروسية. ثم استرسل قائلا:

– والآن سأزيدك إيضاحا؛ إنك تدركين– فيما أظن– أنني أعتقد أن "**ديريك كيترنج**" بريء من التهمة المسندة إليه.

– ولذلك أثار اعتقاله دهشتي.

– كان هذا هو قرار قاضي التحقيق، وإن كنت لا أنكر أن تحرياتي هي التي أثارت الشبهات ضده، أما مفتش الشرطة فلا يزال يحاول إلصاق التهمة بالكونت "**دي لاروش**".

– وما رأيك الشخصي يا سيد "**بوارو**"؟

– إنني لا أزال أسعى وراء الحقيقة. إنني غير مقتنع بأن السيد "**كيترنج**" هو القاتل، وإني لأتمنى أن يكون رجال الشرطة مخطئين، وأن أكون أنا على حق؛ وذلك إكراما لخاطر فتاة تحب "**ديريك كيترنج**"، فهل تعرفين من تكون هذه الفتاة؟ فأجابت:

– نعم، أعتقد أنني أعرف. واستطرد "**بوارو**":

– إن القرائن كلها تشير إلى "**كيترنج**"، ولكن ثمة شيئا واحدا لا يزال يحيرني،

وأعني بذلك وجه الضحية المشوه، إن "**كيترنج**" ليس بالشخص الذي يشوه وجه ضحيته بعد قتلها. ما الذي يدعوه إلى تشويه وجهها..؟ ما هدفه؟ ما فائدته من وراء ذلك؟ إن الرد على هذه الأسئلة هو الذي سيميط اللثام عن الحقيقة. ودس يده في جيبه وأخرج مظروفا صغيرا وهو يقول:

– إنك رأيتني وأنا في مقصورة الضحية ألتقط شيئا من فوق السجادة؛ إنها هذه الشعرات الأربع. إنها لا توحي إليك بشيء، ولكني أعتقد أن في رأسك بعض الأفكار. فقالت:

– صدقت، ولكنها أفكار عجيبة متضاربة، ومع ذلك لا أزال أجهل علاقة السفارة الروسية بما نحن فيه!

– لقد قابلت هناك شخصا معينا وهددته؛ لأنتزع منه بعض المعلومات، هددته بأن أشهر به في الصحف، وإنه لسلاح مخيف كما تعلمين. وابتسمت "**كاترين**" قائلة:

– إنني أعتقد أن كل ما حدثتني به ملفوف بالغموض. واستطرد "**بوارو**":

– إنني أعتقد أن هذا الرجل هو الطرف الفعال في صفقة قلادة اليواقيت التي اشتراها المليونير الأمريكي. وقد استطعت أن أنتزع منه الحقيقة كلها، فعرفت أين تمت الصفقة، ومن العجوز أشيب الشعر الذي كان يتمشى على الإفريز بخطوات رجل في عنفوان الشباب، وقد رمزت إلى هذا الرجل باسم "**المركيز**".

– وهل عدت إلى "**لندن**" لتفضي إلى السيد "**فان ألدن**" بهذه المعلومات...؟

– بل عدت لأقابل رجلين سعيًا وراء بعض المعلومات: أحدهما وكيل مسرحي، والثاني طبيب في شارع "**هارلي**". واستطرد:

– لقد كنت أسائل نفسي طوال الوقت عما إذا كان القاتل هو نفسه لص الجواهر. وأخيرا عرفت الجواب. وإذ لاذ "**بوارو**" بالصمت أدركت "**كاترين**" أنه لن يفضي

إليها بشيء جديد، فنهضت واقفة وهي تقول:

– أتأذن لي بالانصراف...؟ لقد حان موعد فطوري. فأومأ برأسه موافقا، ثم قال:

– اطمئني يا آنسة، فاللغز يوشك أن ينجلي. كوني مطمئنة فقد أشرفنا على النهاية.

- 33 -

كان المليونير الأمريكي "**فان ألدن**" يتصفح الصحف وفي وجهه أمارات السخط، إذ كانت لا تزال تقول وتعيد في قصة ابنته واعتقال زوجها بتهمة قتلها.

ودخل عليه سكرتيره الرائد "**كايتون**" يخطره بقدوم "**هيركيول بوارو**" فتلقاه في برود وهو يقول في نفسه: "ليتني لم أستدعه لتحقيق القضية، فلولاه ما أثيرت هذه الفضيحة". ولكن "**بوارو**" لم يبال بهذا اللقاء الفاتر وراح يتحدث في مسائل عابرة تافهة، وقال إنه حضر إلى "**لندن**" ليعرض نفسه على أحد الأطباء، وذكر اسم أحد الجراحين المشهورين. وسأله "**فان ألدن**" عن السبب فأجاب:

– سبق أن أصبت برصاصة في كتفي أطلقها عليَّ أحد اللصوص، ومن حين إلى آخر أحس ألما في موضع الإصابة. ثم التفت إلى السكرتير وقال في براءة:

– أظنك قابلت الآنسة "**جراي**" في خلال الفترة السابقة؟ فأجاب "**كايتون**" وقد تضرَّج وجهه احمرارا:

– نعم، مرة أو مرتين.

– من الغريب أنك لم تشر إلى ذلك قط في أحاديثك معي.

– لم أكن لأحسب أن الأمر يهمك يا سيد "**بوارو**". فقال "**فان ألدن**":

- إنني أميل إلى هذه الفتاة ميلا شديدا. فقال "**بوارو**" :

- من المؤسف أن تدفن نفسها في "**سان ميد**". ثم أردف:

- والآن إلى العمل أيها السادة. لنفترض يا سيد "**فان ألدن**" أن "**ديريك كيترنج**" بريء ولم يقتل زوجته... فحملق إليه الرجلان دهشة واستغرابا، وقال "**فان ألدن**" :

- ماذا تقول...؟ هل بدأت تهذي يا رجل...

- إني لا أهذي يا سيدي؛ فهناك كثيرون يشاطرونني هذا الرأي. إن الذي يعنيني هو أن أعرف هل يسوءك أن تثبت براءته...؟

- بل يسرني أن يكون بريئا، ولكن أهذا مجرد افتراض منك؟ فتطلع "**بوارو**" إلى السقف لحظة ثم أجاب:

- هناك قرائن تشير إلى أن الكونت "**دي لاروش**" ربما كان هو القاتل. لقد استطعت- على أية حال- أن أهدم دليل النفي الذي أبداه. لقد ثبت أنه رجع إلى داره صباح الأربعاء لا صباح الثلاثاء كما زعم.

- ولكن كيف تسنى لك أن تفعل هذا؟

- إن لي وسائلي الخاصة يا سيد "**فان ألدن**".

- ولكن اليواقيت التي وجدت في حوزة الكونت مجرد تقليد متقن.

- لعلك تريد أن تتساءل عما يدعوه إلى قتل الضحية مادام لم يسرق الجواهر...؟ ولكن لِمَ لا نقول إن أحدا غيره سبقه إلى الاستيلاء على القلادة...؟ فهتف "**كايتون**" :

- هذه نظرية جديدة تماما يا سيد "**بوارو**". وقال "**فان إلدن**" :

- وهل تؤمن أنت بهذه النظرية...؟

- إنها حتى الآن لا تعدو أن تكون مجرد نظرية لم يقم الدليل على صحتها بعد،

ولكنها تستحق- على الأقل- البحث والتمحيص... يجب أن تصحبني يا سيد "**فان ألدن**" إلى جنوب "**فرنسا**" حيث مسرح الجريمة لنجري مزيدا من التحريات.

- وهل من الضروري أن أصحبك...؟ أومأ "**بوارو**" إيجابا وقال:

- سنرحل غدا صباحا، وفي القطار الأزرق تحديدا.

- 34 -

أخذ القطار يشق طريقه بسرعة مخيفة، و"**فان ألدن**" و"**بوارو**" و"**كايتون**" لائذون بالصمت لا يتكلمون. وقد حجز المليونير لنفسه ولسكرتيره مقصورتين يصل بينهما باب داخلي، كما فعلت ابنته مع وصيفتها من قبل، على حين اتخذ "**بوارو**" مقصورة في أقصى العربة.

وكانت الرحلة مرهقة نفسيًّا لـ "**فان ألدن**"؛ إذ أثارت في نفسه ذكريات مصرع ابنته. ولكن الأمريكي كان يدرك أن "**بوارو**" ما اختار لهذه الرحلة القطار الأزرق تحديدا إلا لأنه أراد أن يعيد تصوير الجريمة كما وقعت في مسرح الحادث نفسه.

وفعلا ما كاد القطار يغادر المحطة حتى ارتد "**بوارو**" شعلة من الحركة والنشاط، فاتخذ لنفسه في البداية دور الوصيفة فحبس نفسه في المقصورة الداخلية، وأغلق الباب الفاصل، وهذا هو نفسه ما فعلته الوصيفة ليلة الحادث، حيث فوجئت السيدة "**كيترنج**" بزوجها في القطار وتجلت في وجهها الدهشة. ودرس "**بوارو**" بعد ذلك الفروض المختلفة التي تتيح لإنسان أن يختبئ في المقصورة الإضافية دون أن يفطن ملاحظ القطار إلى وجوده، وفجأة أمسك "**بوارو**" بذراع "**فان إلدن**" وهتف قائلا:

– يا إلهي . . . ! كيف فاتتني هذه الفكرة . . . ؟ يجب أن نقطع رحلتنا وأن نعود إلى "**باريس**" فلنسرع بإنزال حقائبنا إلى الرصيف قبل أن يتحرك القطار. وانصاع إليه "**فان ألدن**" وسكرتيره بلا تردد دون أن يستفسرا منه عن السبب، وقبل أن يغادر القطار محطة "**ليون**" كان الثلاثة على رصيف المحطة وحقائبهم في أيديهم، وإن كانوا قد غفلوا عن أن تذاكرهم لا تزال عند ملاحظ القطار. وقال "**فان ألدن**" :

– يجب أن نسرع فنستقل القطار المسافر إلى "**باريس**" . وهتف "**بوارو**" :

– آه . . . ما أشد غبائي! إننا سنعود إلى القطار الأزرق. هيا فلنسرع وإلا فاتنا القطار.

وكان "**كايتون**" آخر من وثب إلى القطار الأزرق وقد بدأ يتحرك فعلا. ولم يقل "**فان إلدن**" شيئا، وإن نمَّ وجهه عن السخط تبرما بتصرفات "**بوارو**" المتناقضة. بيد أنه قال لسكرتيره وقد انفرد به في مقصورته:

– يبدو أن زمام الأمور أفلت من بين يدي الرجل؛ فهو في حيرة من أمره لا يدري ما يفعل. وأقبل عليهما "**بوارو**" بعد لحظات يعتذر عن اضطراب تصرفه، إذ ينزلهم من القطار متعجلين، ثم يسألهم العودة إليه قفزا قبل أن يتحرك. وبناء على اقتراح "**بوارو**" تناولوا العشاء في مقصورة "**فان ألدن**" بدلا من مركبة الطعام، فسأله هذا في استغراب:

– إن تصرفاتك تثير حيرتي يا سيد "**بوارو**" ، فهل في ذهنك شيء تخفيه عني؟ فأجابه "**بوارو**" في براءة الأطفال:

– أنا أخفي عنك شيئا . . ! يا لها من فكرة . . ! وإذ فرغوا من العشاء تحول "**بوارو**" إلى السكرتير قائلا:

– هل باب مقصورتك موصد بالمزلاج يا رائد "**كايتون**" ؟ أعني الباب الذي يفضي إلى الممشى. فأجابه:

– نعم، أنا نفسي وضعت المزلاج وراءه.

– هل أنت متأكد...؟

– بالتأكيد. ومع ذلك سأرى بنفسي. فبادره "**بوارو**":

– لا تزعج نفسك، سأفحص الباب بنفسي. ودلف مسرعا إلى المقصورة الصغيرة من الباب الفاصل بينها وبين المقصورة الكبيرة، ثم رجع بعد لحظات قائلا:

– صدقت، كان الباب موصدا فعلا بالمزلاج. ثم أغلق الباب الفاصل بين المقصورتين، واتخذ مقعده في الركن الأيمن من المقصورة. ومرت الساعات متتابعة والقطار يشق طريقه، ومن حين إلى آخر كان النعاس يراود أجفان الرجال الثلاثة. وكان "**بوارو**" يتطلع إلى ساعته أحيانا، ثم يسلم نفسه إلى النعاس من جديد، وفي إحدى المرات نهض فجأة ففتح الباب الفاصل وتطلع إلى المقصورة الملحقة، ثم ارتد إلى مقعده وهو يهز رأسه في استغراب. وهمس "**كايتون**" متسائلا:

– ما الأمر...؟ هل تتوقع وقوع حادث ما..؟ فأجاب "**بوارو**" معترفا:

– إن أعصابي مضطربة قليلا، وأقل صوت يفزعني. وأطبق "**كايتون**" عينيه محاولا أن ينام. وللمرة العاشرة تطلع "**بوارو**" إلى ساعته، ثم لمس كتف المليونير، فأفاق هذا من نعاسه وقال:

– ماذا جرى؟

– بعد خمس دقائق سيصل بنا القطار إلى "**ليون**". فهتف "**فان إلدن**":

– يا إلهي! إذن ففي مثل هذه الساعة قتلت ابنتي الحبيبة "**روث**". وأخذ يحملق إلى جدار المقصورة وقد شحب لونه وشفتاه ترتجفان. وأخيرا توقف القطار في "**ليون**"، وأطل "**فان ألدن**" من النافذة هنيهة، ثم استدار إلى "**بوارو**" قائلا:

– إذا لم يكن "**ديريك كيترنج**" هو القاتل طبقا لنظريتك الجديدة، فلابد من أن يكون القاتل قد غادر القطار هنا في هذه المحطة. وكانت دهشة "**فان ألدن**" أن رأى

"**بوارو**" يهز رأسه نفيا وهو يقول:

– كلا، لم يغادر القطار أي رجل، ولكني أعتقد أن امرأة هي التي غادرته.

وشهق "**كايتون**" دهشة، وتساءل "**فان ألدن**" في حدة:

– امرأة..؟! واستطرد "**بوارو**":

– نعم امرأة. لقد قررت الآنسة "**جراي**" في شهادتها أنها رأت شابا يرتدي معطفا وقبعة ذات حافة من طراز الكاب ينزل من القطار ليتمشى على الرصيف، واعتقدت أن هذا الشاب ليس إلا امرأة متنكرة.

– ولكن من تكون هذه المرأة...؟

– إن اسمها– وأعني بذلك الاسم الذي كانت تعرف به منذ سنوات– هو "**كيتي كيد**"، ولكنك أنت يا سيد "**فان ألدن**" تعرفها باسم آخر وهو "**آدي ميسون**".

وهبَّ "**كايتون**" واقفا وهو يتساءل في حدة:

– ماذا تقول؟! وانتفض "**بوارو**" واقفا بدوره وتناول شيئا من جيبه وهو يقول:

– اسمح لي أن أقدم لك سيجارة من علبتك الشخصية، كان إهمالا منك ألا تفطن إلى سقوط العلبة الجلدية من جيبك. وحملق "**كايتون**" إلى "**بوارو**" مذهولا، ثم حاول أن يتحرك، فلوح "**بوارو**" في وجهه بأصبعه منذرا:

– لا تحاول أن تتحرك. إن باب مقصورتك مفتوح، وأنا الذي أزحت مزلاجه عندما غادرنا "**باريس**"، ورجال الشرطة يحاصرون المقصورة الآن ومسدساتهم مشهرة في أيديهم. إنك تعلم أن شرطة "**باريس**" تتمنى من زمن طويل أن تعتقلك يا رائد "**كايتون**"، أو بعبارة أخرى يا سيدي "**المركيز**".

- 35 -

في جناح خاص في مطعم "**نجريسكو**" كان "**فان ألدن**" و"**هيركيول بوارو**" يتناولان طعام الغداء، وبعد قليل قال المليونير الأمريكي:

– والآن هل لك أن تفسر لي ما حدث؟ فأجابه "**بوارو**" قائلا:

– بالتأكيد سأدلي إليك بكل الإيضاحات. وأنشأ يتحدث قائلا:

– كانت النقطة الأولى التي أثارت اهتمامي هي الوجه المشوه للضحية، فهل القتيلة حقا هي السيدة "**كيترنج**" أم امرأة أخرى...؟ ولكن شهادة الآنسة "**جراي**" في هذا الشأن كانت حاسمة لا يرقى إليها شك. فلم يعد يخامرني شك في أن القتيلة هي "**روث كيترنج**". وسأله "**فان ألدن**":

– ومتى بدأت تشك في الوصيفة؟ وأجاب "**بوارو**":

– كانت علبة السجائر الجلدية التي عثرنا عليها في مقصورة الضحية هي أول شيء أثار شكوكي في الوصيفة، كان حرف "كاف" محفورا على العلبة، وهو الحرف الأول من اسم السيد "**كيترنج**"، وقررت الوصيفة في شهادتها أن هذه العلبة كانت هدية من السيدة "**كيترنج**" إلى زوجها. وكان الأمر في رأيي مستبعدا منطقيا؛ إذ كيف تهدي زوجها علبة سجائر والعلاقة بينهما منفصمة، ولا يتقابلان إلا مصادفة؟ ولهذا بدأت أرتاب في كل ما تدلي به الوصيفة "**آدي ميسون**" من أقوال. وثمة شيء آخر هو أنها لم تمض في خدمة سيدتها إلا شهرين اثنين، فهل تكون هي القاتلة...؟ واستبعدت هذا الاحتمال؛ لأن الوصيفة غادرت القطار في "**باريس**"، ولأن السيدة "**كيترنج**" شوهدت على قيد الحياة بعد ذلك. واستطرد "**بوارو**":

– إن من صفات الشرطي القدير أن يرتاب في كل كلمة يسمعها، وأن يتساءل

عن مدى صحتها، لذلك سألت نفسي: "هل حقيقة غادرت "**آدي ميسون**" القطار في "**باريس**"؟" وكان الرد على هذا السؤال مرضيا؛ فلدينا أولا شهادة سكرتيرك الرائد "**كايتون**" الذي قرر أنه رأى الوصيفة في "**باريس**"، ولدينا ثانيا أقوال القتيلة نفسها؛ إذ ذكرت لملاحظ القطار أنها أمرت وصيفتها بمغادرة القطار في "**باريس**". وعلى الرغم من ذلك بدأت تنمو في رأسي فكرة جديدة عجيبة، لو صحت لقلبت الأمور رأسا على عقب.

لقد شهد الرائد "**كايتون**" أنه قابل الوصيفة في "**باريس**"، ولكني لاحظت أن "**كايتون**" التحق بخدمتك منذ شهرين، وأن الوصيفة التحقت بخدمة السيدة "**كيترج**" منذ شهرين أيضا، فهل جاء الأمر مصادفة، أم أنهما شريكان في الجريمة...؟

الأمر الثاني الذي فطنت إليه هو أن حرف "الكاف" المحفور على علبة السجائر هو الحرف الأول من اسم سكرتيرك "**كايتون**" فهل تكون علبة السجائر علبته هو لا علبة السيد "**كيترج**"، كما قررت الوصيفة في شهادتها؟ وهي شهادة مشكوك فيها؛ لأنه ليس من المعقول أن تقدم زوجة هدية إلى زوج انقضت العلاقات بينهما.

وثمة ملحوظة أخرى، فعندما عرضت العلبة على الوصيفة "**آدي ميسون**" عرفت على الفور أنها تخص شريكها "**كايتون**"، ولكن حرف "الكاف" المشترك بين الاسمين أنقذها فأسرعت تقول إنها تخص السيد "**كيترج**". وكان هذا هو المخرج الوحيد أمامها من مشكلة علبة السجائر، وإن كان الاتفاق بينها وبين شريكها أن يكون الكونت "**دي لاروش**" هو كبش الفداء، وأن تلصق التهمة به.

ولعلك تذكر- يا سيد "**ألدن**" - أنني أشرت في حديثي مع الوصيفة قبل انصرافها أن من المحتمل أن يكون الرجل الذي رأته هي وسيدتها في القطار لم يكن

الكونت "**دي لاروش**" وإنما كان السيد "**كيترنج**" زوج "**روث**". وبعد فترة وجيزة جاءت إليك الوصيفة تؤكد أنها بعد أن فكرت في الأمر أصبحت على يقين بأن الرجل الذي رأته هو السيد "**كيترنج**"، فلماذا غيرت الوصيفة رأيها..؟

التعليل الوحيد هو أنها تداولت الأمر مع شريكها فأمرها بأن تغير شهادتها. وهذا الشريك لابد من أن يكون سكرتيرك "**كايتون**" الذي ارتبت فيه من قبل.

وثمة شيء آخر دعم شكوكي في سكرتيرك... لقد ذكر "**كايتون**" في حديث عابر جرى بيننا أنه حدثت سرقة جواهر نادرة من بيت في "**يوركشاير**" كان يعمل فيه سكرتيرا فقلت في نفسي: "لعل الأمر كان مجرد مصادفة، ولكن ربما كان أيضا حلقة جديدة في سلسلة شبهاتي فيه" وتساءل "**فان ألدن**":

– لكن من الرجل الذي كان في القطار في "**باريس**"؟ أهو "**ديريك كيترنج**" أم الكونت "**دي لاروش**"؟

– لا هذا ولا ذاك! أما أدركت مدى الدهاء الذي انطوت عليه المؤامرة؟ من الذي شهد بأن في القطار رجلا دهشت السيدة "**كيترنج**" لرؤيته؟ الوصيفة "**آدي ميسون**" وحدها هي التي قررت ذلك، وقد أخذنا بكلماتها على الفور لاعتقادنا أنه لا صلة لها بالجريمة، استنادا إلى ما قرره سكرتيرك "**كايتون**" من أنها غادرت القطار في "**باريس**"، وأنه التقى بها هناك في الفندق. فقال "**فان ألدن**" معترضا:

– ولكن "**روث**" نفسها ذكرت لملاحظ القطار أنها تركت وصيفتها في "**باريس**". فقال "**بوارو**":

– سأفسر لك ذلك؛ لقد قرر ملاحظ القطار أن السيدة "**كيترنج**" أخبرته بأنها أنزلت وصيفتها في محطة "**باريس**"، ولكن الواقع أنها لم تخبره بشيء من هذا لأنها كانت ميتة.

– إذن فقد كذب ملاحظ القطار في شهادته، أهو أيضا شريك متواطئ؟

– كلا، كلا، لقد شهد بما اعتقد أنه الحقيقة، لقد ماتت "**روث كيترنج**" قبل أن يصل القطار إلى محطة "**ليون**". كانت "**آدي ميسون**" هي التي تقمصت شخصيتها؛ إذ ارتدت ملابس سيدتها والمعطف الفراء، وكانت هي أيضا التي أخبرت ملاحظ القطار– وذلك باعتبارها السيدة "**كيترنج**" – بأنها أنزلت وصيفتها في "**باريس**". فهتف "**فان ألدن**":

– هذا مستحيل!

– إن لـ"**آدي ميسون**" قوام ابنتك، فإذا ما ارتدت معطفها الفراء، ولبست قبعتها القرمزية اللون وأسقطتها على جبينها فمن هذا الذي يستطيع أن يفرق بينهما؟ ولهذا انخدع فيها ملاحظ القطار بسهولة خصوصا وأنه لم يرها إلا مرة واحدة عندما استقلت القطار وأرشدها إلى مقصورتها، ولا تنس أن "**آدي ميسون**" كانت ممثلة معروفة باسم "**كيتي كيد**" واشتهرت بتقليد الشخصيات البارزة، فلن يصعب عليها أن تقلد صوت ابنتك، بيد أن المخاطرة كانت كامنة في أنه عندما يرى ملاحظ القطار الجثة سيشهد بأن التي تحدثت إليه لم تكن هي القتيلة، وكان هذا هو السبب في تشويه وجه السيدة "**كيترنج**" بعد خنقها حتى لا تنكشف الخدعة. فتساءل "**فان ألدن**" في حدة وحيرة:

– لكن من الذي قتل "**روث**"؟ ومتى قتلت؟

– إنك أوفدت سكرتيرك "**كايتون**" إلى "**باريس**" في ذلك اليوم في مهمة ما، فاستطاع أن يستقل القطار الأزرق، وقد أدهش السيدة "**كيترنج**" أن رأته يدخل مقصورتها، ولكنها لم تشك في أمره. ولعله استرعى بصرها إلى شيء خارج نافذة القطار، فلما التفتت لف الحبل حول عنقها وخنقها، ولم يستغرق هذا العمل أكثر من ثانيتين أو ثلاث، ثم بادر هو وشريكته "**آدي ميسون**" إلى العمل، فجرَّدا ضحيتهما من ثيابها الخارجية ولفا الجثة في السجادة ووضعاها في المقصورة

الصغيرة الإضافية وسط الحقائب، ثم تسلل "**كايتون**" من القطار ومعه علبة الجواهر، وكان مطمئنا إلى أن الشبهات لن تتجه إليه؛ لأن ملاحظ القطار سيشهد بأن السيدة "**كيترنج**" كانت على قيد الحياة بعد مغادرة القطار المحطة وأنها تحدثت إليه. واستطرد "**بوارو**" :

– وفي محطة "**ليون**" نزلت "**آدي ميسون**" إلى الرصيف وابتاعت سلة طعام العشاء، ثم عادت إلى القطار فارتدت ثياب سيدتها، وعندما دخل عليها الملاحظ لينسق الفراش حسبها السيدة "**كيترنج**"، وذكرت له– عندئذ– أنها أنزلت وصيفتها في محطة "**باريس**"، ووقفت تطل من نافذة القطار، مولية ظهرها ناحية الممشى، حتى يشهد كل من يجتازه أنه رأى السيدة "**كيترنج**" واقفة في النافذة تطل على رصيف المحطة، وهو ما شهدت به الآنسة "**جراي**"؛ إذ كانت بين من اجتازوا الممشى في تلك اللحظة. وتابع "**بوارو**" الحديث بقوله:

– وقبل الوصول إلى "**ليون**" أرقدت الوصيفة جثة سيدتها في الفراش، وارتدت ملابس رجل، واختبأت في المقصورة الصغيرة الإضافية، ترقب اللحظة الملائمة لمغادرة القطار، وعندما دخل "**ديريك كيترنج**" مقصورة زوجته حسبها نائمة، فغادر المقصورة دون أن يوقظها. وفور وقوف القطار في المحطة ونزول الملاحظ منه لمقابلة ناظرها بادرت "**آدي ميسون**" بمغادرة القطار وهي في ثياب رجل، متظاهرة بأنها تبغي أن تتمشى على الرصيف، ثم بادرت تستقل القطار المتجه إلى "**باريس**"، ومضت من فورها إلى فندق "**ريتز**"، إلى الغرفة التي حجزتها باسمها من قبل شريكة أخرى لسكرتيرك "**كايتون**"، وكان "**كايتون**" قد اتفق مع السيد "**بابولوس**" على أن يبيعه قلادة اليواقيت، وفيما بعد بعث إليه "**آدي ميسون**" لتسلمه الجواهر. والآن هل رأيت مدى دهاء "**المركيز**" وبراعته في تدبير خطته؟

فغمغم المليونير الأمريكي:

– الحق أنه داهية لا يشق له غبار. ثم أردف:

– ولكني اطلعت على سجله وشهادات خدمته السابقة قبل أن ألحقه بخدمتي، فألفيتها جميعا سليمة لا مطعن عليها.

– إنك لعلى حق في هذا، فـ"**المركيز**" – أعني "**كايتون**" – ينحدر من أسرة كريمة، وتلقى تعليما عاليا، وسجله العسكري في أثناء الحرب يدل على شجاعة أهّلته للحصول على بضعة أوسمة، ولكنه في الخفاء كان لصا للجواهر النادرة، فما إن يلتحق ببيت أحد الأثرياء حتى تقع السرقة. وقد يقال إن الأمر كان مجرد مصادفة، ولكن اقتران وجوده بالسرقات دائما كان إحدى القرائن التي دعمت شكوكي فيه. وقد ترددت في سوق الجواهر منذ أشهر إشاعة أنك تنوي أن تشتري قلادة "**جذوة النار**" فوضع "**كايتون**" نفسه في طريقك وأنت في "**سويسرا**" وخلب لبك بدماثته وطلاوة حديثه، فاتخذته سكرتيرا لك في أثناء الفترة التي انتويت أن تقضيها في "**أوربا**" كما دس شريكته "**آدي ميسون**" على ابنتك فاتخذتها وصيفة لها. واستطرد "**بوارو**":

– وكان "**كايتون**" – أي "**المركيز**" – هو الذي أطلق عليك اثنين من أوباش "**باريس**" فهاجماك عقب خروجك من البيت بعد شرائك القلادة ليسرقاها منك. فلما فشلت هذه الخطة لجأ إلى مكيدته الثانية، ولكنني استطعت أن أكشف عنه القناع. وتساءل "**فان ألدن**":

– وما مصير "**ديريك كيترنج**" الآن..؟

– سيفرج عنه بالتأكيد مبرأ من كل ما يشين، وعندئذ سوف يتزوج "**كاترين جراي**". فهتف الأمريكي:

– ماذا تقول؟

– أقول إن "**ديريك**" واله بحب "**كاترين**"، وإنها أيضا مولعة به، وإن كانت

متزنة تعرف كيف تكتم عواطفها، ولكن "**بوارو**" يعرف كيف ينفذ إلى خفايا النفوس. فقال "**فان ألدن**" :

- الحق أنك عبقري، ولا يملك أحد أن ينكر أنك أعظم شرطي سري في العالم.

فقال "**بوارو**" في اعتداد وهو ينفخ صدره:

- إني لكذلك حقا!

تمت بعون الله

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها . . .

سارع في إرسال طلبك !

1	ابنة الفراعنة
2	جريمة الفندق
3	أخطاء القضاء
4	أدلة الجريمة
5	الإرث الدامي
6	أصابع الاتهام
7	امرأة خطرة
8	بيت الأحلام
9	بواعث الجريمة
10	بيت الأهوال
11	التضحية الكبرى
12	الضحية
13	الجثة التي اختفت
14	الجثة الثانية
15	جثة في المكتبة
16	الجريمة الأخيرة
17	جريمة أم
18	جريمة فنية
19	جريمة بلا شهود
20	الجريمة تدق الباب
21	اللغز المثير
22	جريمة عائلية
23	جريمة على ضفاف النيل
24	الجرائم الثلاث
25	جريمة في بيت الطالبات
26	جريمة في الجو
27	جريمة في الصحراء
28	جريمة في قطار الشرق
29	جريمة قتل
30	الجريمة الكاملة
31	امرأة في مأزق
32	الجريمة المستحيلة
33	الجريمة المعقَّدة
34	الشاهدة الوحيدة
35	جزيرة الموت
36	جنون الانتقام
37	الحادث
38	الحب الذي قتل
39	الرجل الرابع
40	ذات القناع الأسود
41	ذات الوجهين
42	رجل بلا وجه
43	غانية باريس
44	رصاصة في الرأس

اقطع الكوبون ادناه، وضع علامة ☒ على رقم الروايات التي تريدها، وارسله مع الشيك

على اي مصرف (بنك) في "**لبنان**" بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص.ب 374 – جونيه – لبنان

ملاحظة : جميع الحوالات والشيكات باسم : **Dar Music**

وان يكتب على الشيك عبارة "<u>يصرف للمستفيد الأول فقط</u>"

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
11	12	13	14	15	16	17	18	19	20
21	22	23	24	25	26	27	28	29	30
31	32	33	34	35	36	37	38	39	40
41	42	43	44	45	46	47	48	49	50
51	52	53	54	55	56	57	58	59	60
61	62	63	64	65	66	67	68	69	70
71	72	73	74	75	76	77	78	79	80
81	82	83	84	85	86	87	88	89	90
91	92	93	94	95	96	97	98	99	100

الاســـم : ....

العـنـوان : ....

ص .ب : .... المـديـنـة : .... الرمـز البـريدي : ....

الـدولـة : ....

مـرسل طيـه شـيك بمبلغ : .... دولار أمـــريكي .